الانتقاد

على

كتاب التمدن الاسلامى للفاضل جرجى زيدان

للشيخ الاستاذ شبلى النعمانى الهندى

اعتنى بطبعه

القارى محمد عبد الولى بن العلامة الآسى المرحوم

طبع

فى مطبعة آسى پريس الكائنة فى محمود نگر لكنو

سنة ١٩١٢ء

جدول اصلاح ما وقع فى طبع هذا الكتاب من الخطأ والتصحيف

	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٧	رسايه	رسايسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	٠	〃	٤	لترويح	لترويج
〃	١٣	الخزانة	خزانة	〃	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَّلْتُ	حملت	〃	٩	لغير	تغيير
〃	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بزورهم	ابذورهم
〃	١٧	اتبز	ابتزّ	〃	٩	مهدى	المهدى
٤	١	العرب	عرب				
〃	١٣	يحرّمون	يحرمون	〃	١٣	عرب	عربى
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	〃	١٤	عراب	عربى
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
〃	٤	ابن وقاص	ابن ابى وقاص	〃	٨	كوفة	الكوفة
〃	٦	حيرة	الحيرة	〃	〃	قضايه	قضائه
〃	١٤	وترميه	وترميهم	〃	〃	استنكفوا	الاستنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
١٠	١٢	لايبايع	لاتبايع	١٥	٩	الهجية	الهبجية
١٢	٢	ولدا	ولدًا	١٦	١٦	يلايم	تلايم
〃	٨	مرزولين	مرذولين	〃	〃	الطبعی	الطبیعی
〃	١٠	المَكل	اكمل	١٨	١٠	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
〃	١٦	يمن	اليمن	〃	١٦	لرمتها	لرمّتها
١٢	٦	الموالی	من الموالی	١٩	٤	اعتذارا	بالاعتذار
〃	١٠	المسايل	المسائل	〃	٨	مسايل	مسائل
〃	١٤	تعذر	تعذرت	١٩	١١	رمته	رمّته
〃	١٦	حسن	الحسن	〃	١٦	ولدٌ لمروان	ولدٍ لمروان
١٣	١	يكون	تكون	٢٠	١٥	بها	له
〃	٤	المسايل	المسائل	〃	١٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٢	يمن	اليمن	〃	١٧	يكن	تكن
١٤	١	حجاج	الحجاج	٢١	٣	المراد	مراد
〃	لـه	عقد الفريد	العقد الفريد	〃	٦	نال	نالت
١٥	٥	مرزولين	مرذولين	٢٢	١	المختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطا	صواب
〃	١٣	لعلج	العلج
〃	١٦	الوليدُ	الوليدَ
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً
٢٤	٦	ساير	سائر
〃	٧	يسر	بسر
〃	٦	الموثوقة	الموثوق
٢٦	٢	يستشن	يستثن
〃	٤	باس	بأس
〃	٥	كان	كانت
〃	〃	رافعا	رافعة
〃	〃	هادما	هادمة
〃	١٧	صنيعة	صنيع
٢٧	١	القايم	القائم
〃	٨	قايمة	قائمة
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم
〃	١٥	اليه	اليها
〃	٢٨	طايفة	طائفة
〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
〃	١٤	يجترئ	بجترئ
٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	امية	مية
〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	〃	ساير	سائر
٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	١٢	احدًا	واحدًا
٣٢	٢	للقريش	لقريش
٣٣	١	ليتس	ليس
〃	٢	زياد	زيادًا
〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	۱۳	الجزيّة	الجزية
〃	۱۵	السلامهم	اسلامهم
〃	۱۶	الجزيّة	الجزية
〃	〃	يكن	تكن
〃	〃	شئ	شيئا
۳۵	۱	عمالٍ	عمالاً
〃	۳	لحرب	الحرب
〃	۸	نی	في
〃	۱۶	البّ	تالّب
〃	۱۷	فتلوه	قتلوه
۳۶	۲	اشرس	الاشرس
〃	〃	اشرس	الاشرس
〃	۱۵	الجزير	الجزية
۳۷	۲	المؤلف	للمولف
〃	۱۳	لاجتراء	الاجتراء
۳۸	۱	الآن	الآف
〃	۵	الرهبة	الرهبنة
〃	۷	ولكن	لكن
〃	۹	اليه هذا البحث	خاتمة هذا البحث
〃	۱۸	اهتدنا	اهتدينا
۳۸	۱۹	خياناتها	خياناته
〃	۲۰	التغئير	التغيير
۳۹	۵	اناشدك بالله	اناشدك الله
〃	۷	شاو	شأو
〃	۱۵	العرب	عرب
〃	〃	العرب	عرب
۴۰	۶	صح نوع	بنوع
〃	۸	المعاوبة	معاوية

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٤	أنظروه	انظروا	٤٧		نموذا	نفوذا
//	١٦	حوايج	حوائج	//	١	المودبين	المؤدبين
٤١	١٠	لملك	الملك	//	١٤	التصحيب في	التصحيف في
//	١٥	حنفية	الحنفية	٤٩	٣	رجا	رجاء
//	١٦	كفاءة	كفاية	//	٥	استودعت	استيلاعها
٤٢	١	هذه	هذا	//	١٥	يومين	يومئذ
//	٥	خلفايهم	خلفائهم	٥٠	٣	مدونوا	مدونو
//	٦	سوال	سؤال	//	٤	فقد	٠
٤٣	١	المودبين	المؤدبين	//	١٢	يزيد عبد	يزيد بن عبد
//	٥	ضرب	ضربت	٥١	٨	سالة	سأله
٤٤	٥	هنا	هنالك	//	١٠	الماضيين	الماضين
//	١٥	الذين	فان الذين	٥٢	١٣	العلمين	العلمين
//	٩	بيعة	سعة	٥٣	٧	اذا	واذا
٤٥	٨	صهاديج	صهاريج	٥٤	١٣	موسس	مؤسس
//	٥	الف	آلاف	//	١٤	تضيقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٥	١	انتها	انته	〃	١٣	اضطهدواعلى	اضطهدوا
〃	٤	ذهب	ذهبت	〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	٧	القران	القرآن	〃	١٦	امرة	امرہ
〃	١٥	النصبغ	التصبغ	٥٩	١	باحراج	باخراج
٥٦	١	يوموهم	بأموهم	〃	٨	بهدم	هدم
〃	٤	من	عن	〃	١٣	الخزانة	خزانة
٥٧	٦	ساموها	ساموهم	٦٠	٢	نصريح	تصريح
〃	٨	مواضع	موضع	〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	انفهم	انوفهم	〃	١١	مّا	ما
〃	١٤	تشمأزعنها	تشمأزمنها	٦١	١	محوبها	محوها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا		〃	ايضاحا	ايضاحًا
〃	〃	عذبوهم	عذبوا	〃	٢	هذا	ذلك
〃	٤	تفتخربها	يفتخربها	〃	١١	قرءة	قراءة
〃	٧	خاب	خابت	〃	١٠	الايخيل	الانجيل
〃	〃	يكادلا	لايكاد	٦٢	٢	التشوقوا	تشوقوا

صفحه	سطر	خطا	صواب
٦٢	١٧	بالاخبار	بالاخبار
٦٣	٥	ن المسئلة	كانت المسئلة
٦٤	١٠	بن اسلام	بن سلام
٦٥	١	عمود الورى	عمود السوارى
〃	٩	يكن	تكن
	١١	يتصل	تتصل
	١٣	يكون	تكون
٦٦	٣	اخبار	الاخبار
٦٧	١٣	صار	صارت
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة
〃	١٧	لو	ان
٧٠	٩	وشام	والشام
〃	١١	حيا	حا
〃	١٣	ما	صا
٧١	١	الخزانة	خزانة

صفحه	سطر	خطا	صواب
〃	١٠	لسان الاردو	اللسان الاردوى
〃	〃	احد من اهل	احد اهل
〃	١١	شطرُ	شطرٌ
〃	١٥	لموثوقة	الموثوق
٧٢	١	كان ضاعت	ضاعت
〃	٧	عليهم	علمهم
〃	١٣	المصر	مصر
٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٧٤	١٤	فرابينا	فرأينا
٧٤	١٧	لنصارى اهل الشام	النصارى الشام
٧٥	٣	التضئيق	التضييق
〃	٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
٧٦	٩	فرجاة البيضاعة	بضاعة مزجاة
〃	١٠	اسماعًا	اسماءً

صفحہ	سطر	خطأ	صواب	صفحہ	سطر	خطأ	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكا	٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
〃	〃	محمد	احمد	٧٩	١٢	وجها	وجهها
٧٧	٩	سبحنہ	سبحنہ	〃	١٤	بخلع	بخلع
٧٨	١٣	نسختہ	نسختہ	٨٠	١٢	من احد	احد
٧٨	٨	الحماد	لحماد	〃	١٦	فاخذ	اخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوٰة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجايب، ومن احدى عجايبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل، وتعمد الكذب، ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا فى العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسايسه ان هذا الشئ عجاب، لم يكن المرء ليجترى على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئا فشيئا فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على حساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فى الغى واسرف فى النكاية بالعرب عموما وخلفاء بنى امية خصوصا۔

وكان يمنعنى عن النهوض لكشف دسايسه اشتغالى بامر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشرّ لم اطق الصبر فاخلست من من اوقاتي اياماً وتصديت للكشف عن عوار هذا التاليف والابانة عما فيه من انواع الافك والزور واصناف التحريف والتدليس،

معذرة الى المؤلف

انى ايها الفاضل المولف غير جاحد لمنتك فانك قد نوهت باسمي في تاليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك واستشهدت باقوالى و نصوصي و وصفتني بكوني من اشهر علماء الهند مع انى اقلهم بضاعة واقصرهم باعاً واخملهم ذكرا ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضى بان تمدحني وتهجو العرب فتجعلهم غرضا لسهامك ودرية لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو اليهم كل دنية وشر حتى تقطعهم اربا اربا وتمزقهم كل ممزق وهل كنت ارضى بان تجعل بني امية لكونهم عربا بحتا من اشر خلق الله واسوءهم يفتكون بالناس ويسومونهم سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل ويقتلون الذرية وينهبون الاموال و ينتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقران،

وهل كنت ارضى بان تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر ابن الخطاب الذي قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضى بان تمدح بني العباس فتعد من احدى مفاخرهم انهم نزلوا العرب منزلة الكلب حتى ضرب بذلك المثل وان المنصور بنى القبة الخضراء ارغاما للكعبة وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما وان المامون كان ينكر نزول القران وان المعتصم بالله انشأ كعبة

فی سامرا وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفاتٍ۔

وهب انی عدمت الغیرة علی الملة والدین وافتخرت کصنیع بعض الاجانب بانی فلسفی بحت عادمٌ لکل عاطفةٍ ووجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسرّ ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتألّم وهب انی حمّلتُ نفسی علی احتمال الضیم وقبول المکروه والصمم عن البذاء ومجازاة السیّئة بالحسنة ومکافاة الخبیث بالطیب فهل کنت ارضی بان تُشوّه وجه التاریخ وتدمغ الحق وتروّج الکذب فی تفسد الروایة وتقلب الحقیقة وتنفق التُهم وتعوّد الناس بالخرافة۔ بئس ما زعمت ایها الفاضل فان فی الناس بقایا وان الحق لا یعدم انصارا

انّ الغایة التی توخّاها المؤلف لیست الا تحقیر الامة العربیة وابداء مساویها ولکن لمّا کان یخاف ثورة الفتنة، غیّر مجری القولِ ولبّس الباطلَ بالحقِ بیان ذلک انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوارٍ دور الخلفاء الراشدینَ ودور بنی امیة ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وکذلک الثالث (ظاهرا لا باطنا کما سیجیٔ) ولمّا غرّ الناسَ بمدحه للخلفاء الراشدین وهم سادتُنا وقدوتنا فی الدینَ وبمدحه لبنی العباس وهم ابناءُ عمّ النبیّ وبهم فخارُنا فی بثّ التمدّن وابهةِ الملک، ورأی ان بنی امیّة لیس لهم وجهة دینیة فلا ناصرَ لهم ولا مدافع عنهم تفرّغ لهم وحمل علیهم حملة شنعاء فما ترک سیئة الا وعزاها الیهم وما خلّی حسنة الا وابتزّها منهم، ثم لو کان هذا لاجل انهم من آل مروانَ او لکونهم من سُلالة

اُمَيّة لكنّا فى غِنىً عن الذبّ عنهم والحماية لهم ولكن كُلّ ذنبهم انهم العرب على صرافتهم ما شابَتْهُم العجميّةُ مُطلقًا كما قال

" ويمتاز (اى دولة بنى امية) عن الدولة العباسية بانها عربية بحتة،، (الجزء الثانى من تمدن الاسلام)

"وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربيّة اساسها طلب السلطة والتغلب،، (الجزء الرابع صفحة ۱۰۳)

عصبية العرب على العجم اطال المولف واطنب فى اثبات هذه الدعوى فذكر طرفا منه فى الجزء الثانى مدسوسا (انظر صفحة ۱۸) ثم جعل له عنوانا خاصًّا فى الجزء الرابع (۵۸)

وهذه نصوصه،

"فان العرب كانوا يعاملونهم مُعاملة العبيد"

" واذا صلوا خلفهم فى المسجد حسبوا ذلك تواضُعًا لله،

" وكانوا يُحرّمون الموالى من الكُنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون فى الصف معهم،،

" وكانوا يقولون لا يقطع الصلوٰة الا ثلثة حمارٌ او كلبٌ او مولىً"

"فكان العربى يَعُدُّ نفسه سيدا على غير العربى ويرى انه خُلق للسيادة وذاك للخدمة"،

"فنزعم العرب فی نفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لا تحمل فی سن الستین الا قرشیة ،، وان الفالج لا یصیب ابدانهم" "ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرّموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا ،، ولا یزوّجون الاعجمی عربیة ولو کان امیرا وکانت هی من احقر القبایل"،

"وکان الامویّون فی ایام معاویة یعدّون الموالی اتباعًا وارقّاءً وتکاثروا فادرك معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ ان یامر بقتلهم کلّهم او بعضهم"،

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارًا شتّی،

فمنها تعمد الکذب کما ستری"،

ومنها تعمیمه لواقعة جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقة مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاك امثلة من کل نوع منها قال،" اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلك تواضعًا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ" وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰة الا ثلثة" الخ۔

غیر خافٍ علی من له المام بتاریخ الفرس والعرب ان الفرس کانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدری به ولما ارسل رسول الله صلی الله علیه وسلم کتابه الی کسری العجم اشمأز وقال عبدی یکتب الیّ وکتب یزدجرد الی سعد ابن وقاص فاتح القادسیة ان العرب مع شرب البان الابل واکل الضبّ بلغ بهم الحال الی ان تمنّوا دولة العجم فاُفٍّ لك ایها الدهر الدایر"، و کانت ملوك حیرة تحت امرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العربُ من العجم و استنکفوا من سیادتهم علیهم

وجاءت الشریعة الاسلامیة ماحیة لکل فخر ونخوة فقال رسول الله فی خطبته الاخیرة فی حجة الوداع "ان لا فضل للعربی علی العجمی ولا للعجمی علی العربی کلکم ابناء ادم"

وحینئذٍ ارتفع التمایز وتساوی الناس ولکن مع ذلك بقیت فی بعض الناس من کلا الطرفین حزازات کامنة فی صدورهم کانت سببا لحدوث حزبین متقابلین یسمّی احدهما الشعوبیّة وهی التی تحتقر العرب وترمیه بکل معیبة حتّی ان ابا عبیدة صنّف کتبًا عدیدةً یطعن فیها علی انساب کل قبیلة من قبایل العرب، والثانی المتعصّبون للعرب وقد عقد العلّامةُ ابن عبدربّه فی کتابه العقد الفرید بابًا فی حجج کلا الطرفین

واقوالهما ومعظم ما نقله المولف فی اثبات عصبیة العرب هی اقوال ذکرها صاحب العقد فی هذا الباب کما لوّح به المولف فی هامش الکتاب۔ واذا تصفحت الکتب یظهرلك ان الاقوال التی نسبها الی العرب عموماً انما هی اقوال شرذمة خاصة موسومة باصحاب العصبیة وصاحب العقد حیثما ذکر هذه الاقوال صدّرها بقوله" قال اصحاب العصبیة من العرب " وانت تعلم ان هذه العصبة لیست کافّة العرب ولا اکثرها بل ولا عشر معشارها فانك ستری انّ هؤلاء اُناس شرذمة مغمورون فی الناس" ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل رُبّما نسب قول رجل مُعیّن معلوم الاسم الی العرب عامة"

فقال ناقلاعن کتاب العقد "وکانوا یکرهون اَنْ یصلوا خلف الموالی وَاذا صلّوا خلفهم قالوا انّا نفعلُ ذٰلِكَ تواضعاً لِلّٰهِ" فان صاحب العقد نسب هذا القول الی نافع بن جبیر فاخذه المؤلف وجعله قولاً عاماً للعرب وهذه الصنیعة اعنی تعمیم الواقعة الجزئیة هی اکبر الحیل التی یرتکبها المؤلف لترویج باطله بل هی قطب رحی تالیفه"

قال المؤلِّف "فادركَ مُعاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ اَنْ یأمر بقتلهم کلهم اوبعضهم" (الجزء الرابع صفحه ۵۹) ان نص معاویة الذی نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا "کانّی انظر الی

وثبة منهم على العرب والسلطان فرأيتُ انْ أقتل شطرًا وادعَ شطرًا" فانت
ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية رای ان يقتل
شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة وقال ان معاوية همّ ان
يامر بقتلهم كلّهم۔

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدانهم" (الجزء
الرابع صفحه ٦٠)

استشهد فی هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فی هامش الكتاب
وايم الله لو كُنتَ تقِفُ على عبارة الطبقات لوقعتَ فی اشدِ حيرة من اجتراء
المؤلّف على قلب الحكاية وتغيير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة
عيسى الطبيب (الراجح انه نصرانی) انّ المهدی ضربه فالج فحضر المتطببون
ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدی بن المنصور بن محمد بن علی
بن عبدالله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء
ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان يبذره ابذورهم فی الروميات والصقلبيات
وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف
الطبيب ان ابراهيم بن المهدی لما اعتلّ بعلة شبيهة بالفالج ودعا
يوسف وقال له ما العلة عندك فی عرض هذه العلة بی علمت انه كان حفظ

عن امه قول عیسیٰ ابی قریش فی المهدی و ولدہٖ انه لا یعرض لعقب الفالج الاان یبذر و ا بزورهم فی الرومیات وانه قد امّل ان یکون الذی به فالجا لا عارض الموت، فقلتُ لا اعرف لانکارك هذه العلة معنًی اذا کانت اُمُّك التی قامت عنك دنباوندیة ودنباوند اشدُّ بردًا من کل اَرضِ الرُّوم فکانه تفرّج الی قولی وصدّقنی واظهر السرور''

فانت تری ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما کان مبناہ حرّ ارض العرب ولیس له ادنی مساس بشرف النسل ولو کان کما یتبادر الی الذهن من عدا سماء اٰباء المهدی فهو یختص بعایلة النبی علیه السلام لا یفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذکر لابراهیم (وهو ابن الخلیفة مهدی) ان اُمّه من دنباوند وهو اشدُّ بردًا من ارض الروم، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر کیف کان مجری الحکایة فغیّرها المؤلف وارتکب لذلك خیانات تتری

ثم ان هذا قول عیسی الطبیب ولا یدری انه عرب ام لا وغالب الظن انه نصرانی وهب انه عرب فهو رجل من حاشیة الدولة یرید التزلف الی الخلیفة والتملق له فهل یکون قوله قول العرب کافّة

قال المؤلف ''ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلحُ للقضاء الا عربیٌّ'' (الجزء الرابع صفحة ٦) واسند هذه الروایة الی ابن خلکان

حقیقة هذا القول انّ الحجّاج لمّا اسر سعید بن جبیر التابعی المشهور وکان من الموالی قال له ممتنًا علیه اما جعلتُك اماماً للصلوة فی الکوفة ولم یکن فی الکوفة الا العرب؛ قال ابن جبیر نعم، ثم قال له الحجّاج الیس انی لما اردت ان اُوَلّیك قضاء الکوفة ضجّت العرب وقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی[۱] وقد ذکر الروایة ابن خلکان بطولها ولا یخفی علیك ان کوفة لم یکن اذ ذاك فیها الا العرب وظاهرٌ ان القضاء لا یصلح له الا من کان عارفاً بعوائد الامة مطلقًا علی خصائصهم وکیفیة تعاملهم فیما بینهم وسعید بن جبیر لم یکن من العرب ولو کان استنکاف اهل کوفة من قضائه لاجل کونه من الموالی لاستنکفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفاً وارفع محلًا من القضاء وهذا ابو حنیفة کان من الموالی وارادوا ان یولّوه القضاء فی عصر بنی امیة فامتنع ولم یرض بذلك وقد ذکر الواقعة ابن خلکان مفصّلاً،

قال المؤلف "وحرموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان قرشیاً"

نعم ولکن لم یکن هذا للاستهانة به قال الاصمعی کانت بنوامیة لا یبایع لبنی امهات الاولاد فکان الناس یرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم یکن لذلك ولکن لما کانوا یرون ان زوال ملکهم علی ید ابن ام ولد[۱]" اما ما استدلّ به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزید بن علی

---

[۱] انظر الجزء الثانی من العقد الفرید طبع مصر صفحة ۳۳۰

انك ابن امة ولذلك لاتصلح للخلافة فقد ردّ عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب ارومة واصدق قولا من هشام ثم لوكان هذا الامر حقا ما كانوا يولّون الخلافة يزيد بن الوليد الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نُحقّق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا اذِلّاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فى عصر بنى امية كما يدعيه المؤلف اوكانوا بمحل من الشرف والعزّة يعترف لهم العرب بالفضل والسّودد ويوفىّ لهم اوفى قسطٍ والملَل حق اعلم ان البلاد التى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابى رباح وهو استاذ الامام ابى حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام	مكحول،

مصر،	يزيد بن ابی حبیب،
الجزیرۃ،	میمون بن مهران،
خراسان،	ضحاک بن مزاحم،
البصرۃ	الامام الحسن البصری،
الکوفۃ،	ابراهیم النخعی،

وکل هؤلاء غیر ابراهیم النخعی کانوا الموالی وبعضهم ابناء الاماء ومع کونهم اعجاماً وکونهم اولاد الاماء کانوا سادۃ الناس وقادتهم تذعن لهم العرب ویحترمهم خلفاء بنی امیة وولاۃ الامر،

فامّا عطاء بن ابی رباح فمع کونه ابن سندیة کان شیخ الحرم والیه المرجع فی الفتوی وعلیه المعوّل فی المسایل، قال ابن خلکان فی ترجمته قال ابراهیم بن عمرو بن کیسان اذکرهم فی زمان بنی امیة یامرون فی الحج صایحاً یصیح "لا یفتی الناس الّا عطاء بن ابی رباح"، وهل یمکن ان ینادی بمثل ذلک من غیر رضی الخلفاء واما طاؤس فلما قضی نحبه بمکة ازدحم الناس فی جنازته حتی تعذر الصلوۃ علیه وکان ابراهیم بن هشام اذ ذاک والیاً علی مکة فاستعان بالشرطة ومشی فی جنازته عبد الله ابن الامام حسن علیه السّلام واضعاً نعشه علی عاتقه وصلّی علیه الخلیفة هشام بن عبد الملک الاموی ذکر کل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمۃ طاؤس فہل یکون منزلۃ اعظم من ذلک،

واما مکحول الشامی فاحد الائمۃ المتبوعین وقال الزہری العلماء اربعۃ فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فہو الذی ارسلہ عمر بن عبد العزیز لیفقہ الناس فی مصر ویفتیہم فی المسایل وہو المعلم الاول لہم کما صرح بذلک السیوطی فی حسن المحاضرۃ واما میمون بن مہران فمع فضیلتہ وسیادتہ کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرۃ کما صرح بہ ابن قتیبۃ فی المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولا حرج، یذعن لہ الملوک والسادۃ والقواد وعلیہ المعوّل والیہ المنتہی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیۃ الحدیث للعراقی (طبع لکھنؤ صفحہ ۴۹۹) ان ہشامًا قال للزہری من یسود اہل مکۃ قال عطاء قال بم سادہم قال بالدیانۃ والروایۃ قال ہشام نعم من کان ذا دیانۃ حُقّت الریاسۃ لہ ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلک سأل عن مصر والجزیرۃ وخراسان والبصرۃ والکوفۃ فاخذ الزہری یعد اسماء سادات ہذہ البلاد وکلما سمی رجلا کان ہشام یسأل ہل ہو عربیّ ام مولًی وکان یقول الزہری مولًی الی ان اتی علی النخعی وقال انہ عربی فقال ہشام الآن فرجت عنی واللہ لیسودن الموالی العرب ویخطب لہم علی المنابر والعرب تحتہم"

ان التابعین لہم اعلی محل فی تاریخ الاسلام - ورا سہم

سعید بن جبیر وھو اسود وقد ولاہ حجاج بن یوسف امامۃ الصلوٰۃ فی الکوفۃ کما ذکرہ ابن خلکان فی ترجمتہ والکوفۃ اذ ذاک جمجمۃ العرب وقبۃ الاسلام وھل یصح بعد ذالک دعوی لمؤلف ان العرب کانت تستنکف عن الصّلوۃ خلف الموالی،

وھذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلۃ من العز والشرف انہ لما کتب الیہ الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک ان یکتب لہ مناقب عثمان ومساوی علیٍ اخذ کتاب ھشام والقمہ عنزا کان عندہ وقال للرسول قل لھشام ھذا جواب کتابک (ابن خلکان ترجمۃ الاعمش)

وھذا حمّاد الراویۃ الّذی دوّن المعلقات ولہ المکانۃ الکبری فی الادب والشعر کان عبدًا اسود وکانت ملوک بنی امیۃ تقدمہ وتوثرہ وتستزیرہ کما ذکرہ ابن خلکان،

وھذا سالم بن عبد اللہ بن عمر کان ابن امۃ ولما دخل الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک المدینۃ ارسل الیہ یدعوہ فاعتذر فدخل علیہ ھشام ووصلہ بعشرۃ الاف ثم لمّا حجّ ورجع کان سالم اذ ذاک مریضا فذھب لعیادتہ ولمّا توفیّ صلّی علیہ وقال لا ادری بایّ الامرین انا اسرّ بحجتی ام بصلوتی علی سالم۔ [1]

[1] عقد الفرید ترجمۃ ھشام بن عبد الملک،

النص القاطع فی هذا البحث

ذکر ابو العباس المبرّد فی کامله ما هو قول فصل فی هذا الباب لا یدع مجالا للریب۔ ولا متسعًا للشک، قال

"واِنما ذکرنا هذا لتقدم قریش فی اکرام موالیها، ولّی رسول الله صلی الله علیه وسلم جیش موتة زیدًا مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زید فبلغه ان قوما قد طعنوا فی امارته فقال لقد طعنتم فی امارة ابیه وقد کان لها اهلا وان اسامة لها لاهل و قالت عائشة لو کان زید حیًّا ما استخلف رسول الله غیره وقال عبد الله بن عمر لابیه لم فضلّت اسامة علیّ وانا وهو سیّان فقال کان ابوه احب الی رسول الله من ابیک وکان احبّ الی رسول الله منک واوصی رسول الله بعض ازواجه لتمیط عن اسامة اذی من مخاط او لعاب فکانها تکرهته فتولی منه ذلک رسول الله.... وکان ادّی الی بنی قریظة مکاتبة سلمان فکان سلمان مولی رسول الله فقال علی بن ابی طالب رض سلمان منا اهل البیت، ویروی ان المهدیؒ نظر الیه وبید عمارة ابن حمزة فی یده فقال له رجل من هذا یا امیر المومنین فقال اخی و ابن عمی عمارة بن حمزة فلمّا ولّی الرجل ذکر ذلک المهدیؒ کالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول "ومولای" فانفض و الله یدک من بین یدی فتبسم امیر المؤمنین المهدی ولم یکن الاکرام للموالی فی جفاة العرب۔ زعم اللیثی انه کانت بین جعفر بن سلیمان وبین مسمع بن کردین منازعة وبین یدی مسمع مولی له، له بهاء ورواء ولسن فوجّه جعفر مولی له لینازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفنی والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجّه الیّ مولی مثل هذا او ما الی مولی جعفر فقال مولی مثل هذا عاضًّا

لما يكره وجهت اليه واوما الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى

تبها بمثله العرب وقيل لرجل لابيه والمولى لمواليه وفى بعض الاحاديث ان فضل المعتق من

طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمرات الصدقة

فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا ابا عبدالله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا

ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبدالله بن سليمان وكان من جلة الرجال

نازع عمرو بن هدّاب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى

حتى اذن له فى داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه ساقا كف عنه ثم

قال يا عمرو قد اريتك القدرة وساريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة

ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مرّ عليه بالجنازة سال عنها

فان قيل قريش قال واقوماه وان قيل عربى قال وابلداتاه وان قيل مولى وعجمى قال

اللّهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو

بن تميم كان يقول فى قصصه اللّهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم

عبيدك والامر اليك وقال الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لآخر اترى هذه العجم

تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصلحة قال توطأوالله رقابنا قبل

ذلك" انتهى (صفحة ١٠، و١١، و١٢، طبع اوريا)

تدل هذه النصوص على امور:

١ ـ ان اكرام الموالى كان من دين العرب عامة وقريش خاصة۔

٢ ـ لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم

٣ ـ كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على

ولو اخذنا فی تعداد امثال هذه الوقایع لطال الکلام وملّ الناظرون ویظهر مما مرّ علیك ان الموالی کانوا فی ایام بنی امیة باعلی محل من الشرف والمکانة وکانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدی بهم وترفع شانهم، فهل یصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالی وابناء الاماء کانوا فی عصر بنی امیّة مرذولین ساقطین یُزدری بهم ولا یقام لهم وزنٌ وکان العرب وبنو امیة یعاملونهم معاملة العبید،

مثالب بنی امیة

المقصد الذی جعله المؤلف نصب عینه ومرمی غایته هو ان الامة العربیّة اذا بقیت علی صرافتها فهی جامعة لجمیع اشتات الشر ای الجور والقسوة والهمجیّة وسفك الدماء والفتك بالناس ولکن لما کان لا یقدر علی اظهار هذا المقصد تصریحاً احتال فی ذلك فمخّض المذهب وجعل الکلام طیّباً لظاهر وذلك بان قسّم عصر الاسلام الی ثلثة ادوار۔ فمدح سیاسة الخلفاء الرشدین وقال بعد مدحها۔

علی ان سیاسة الراشدین علی الاجمال لیست مما یلائم طبیعة العمران او تقتضیه سیاسة الملك وانما هی خلافة دینیة توقّفت الی رجال یندر اجتماعهم فی عصر۔ فاهل العلم للعمران لایرون هذه السیاسة تصلح لتدبیر الممالك فی غیر ذلك العصر العجیب وان انقلاب تلك الخلافة الدینیة الی الملك السیاسی لم یکن منه بد (الجزء الرابع، صفحه ٣٠ و ٢٩)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة، اما دور العباسيين فمدحه ولكن لالاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواما موتلفا ونظاما وصرح بذلك فقال"

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل فی عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها ودیانتها فهی فارسية من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وایدوها ثم هم نظموا حکومتها وادار وشیونها ومنهم وزرائها وامراؤها وکتابها وحجابها،

(الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فی غیر موضع ان الدولة العربية الساذجة انما هی دولة بنی امیه فقال،

"وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحہ ١٠٢)

"وظل العرب فی ایام بنی امیة علی بداوتهم وجفاوتهم وکان خلفاءها یرسلون اولادهم الی البادية لاتقان اللغة واکتساب اسالیب البدو وادابهم (الجزء الرابع صفحہ ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تکن یلایم النظام الطبعی وان دولة بنی العباس دولة فارسية وان الباقی علی صرافتها هی الدولة الاموية

اخذ يعدد مثالب بنی امیة تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين واهله ومنها الاستهانة بالقران والحرمين ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس وانی فی مطاوی هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس والان اذكر نبذا منها واكشف عن جلية حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمين، قال المؤلف تحت هذا العنوان،

أما عبدالملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدين ** لانه صرح باستهانة الدين منذ ولی الخلافة ** ذكروا انه لما جاؤه بخبر الخلافة كان قاعدا والمصحف فی حجره فاطبقه وقال هذا آخر العهد بك او هذا فراق بينی وبينك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرب الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير ويحتز راسه بيده داخل مسجد الكعبة ** وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثا وهدموا الكعبة وهی بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحه ٧٨ و ٧٩)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادعى الخلافة فملك الحرمين والعراق وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم فی ازدياد وبازائه بنو امية فی الشام فلما تولى عبدالملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير

بمکة فنصب الحجاج المنجنیق علی الزیادة التی کان زادها ابن الزبیر کما یجی تفصیله
یعرف کل من له ادنی المام بالتاریخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبیر
ولکونه لائذا بالکعبة اضطر الی نصب المنجنیق علی الکعبة ولکن مع ذلک تحرز
عن رمی الکعبة فحول وجهها الی زیادة ابن الزبیر فانظر کیف غیر المؤلف مجری
الحکایة فصدر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمین ثم ذکر ان عبد الملک قال
للقرآن هذا فراق بینی وبینک وانه اباح للحجاج ضرب الکعبة بالمنجنیق وهدم
الکعبة وایقاد النیران بین استارها فالناظر فی عبارته یتوهم بل یستیقن ان
عبد الملک تفرغ من بدء الامر للاستهانة بالدین والقرآن والحرمین وجعل
الاستهانة نصب عینه ومرمی غایته وقتل ابن الزبیر کان اما لانه دافع عن مکة او
لکونه ایضا من جنس الاستهانة بالحرم اما تفصیل الواقعة وتعیین بادی الظلم
فهو ان ابن الزبیر لما استولی علی الحرمین اخرج بنی امیة من المدینة فخرج مروان
وابنه عبد الملک وهو علیل مجدر فاستولی علی الشام وصدرت من ابن الزبیر
افعال نقموا علیه لاجلها فمنها انه تحامل علی بنی هاشم واظهر لهم العداوة والبغضاء
حتی انه ترک الصلوة علی النبی فی الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبی اهل
سوء یرفعون رؤسهم اذا سمعوا به[له] ومنها انه هدم الکعبة ومع ان هدمها لم یکن
الا لرمتها واصلاحها ولکن لم یکن هذا ما لوفا للناس ولذلک تحرز النبی علیه السلام

[له] الیعقوبی طبع یورپ صفحة ۳۱۱ من الجزء الثانی [که] الجزء الثانی من الیعقوبی صفحة ۳۱۱ -

عن ادخال الحطیم فی الکعبۃ فاتخذ الحجاج ھذہ الامور وسیلۃ لاغراء الناس علی
ابن الزبیر ولعل ابن الزبیر کان مضطرا الی ھذہ الاعمال ولکن من شریطۃ العدل
ان نوفی کل احد قسطہ من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبیر فعبد الملک احق منہ
اعتذارا فان ابن الزبیر ھو البادی والبادی اظلم ویظھر من ھذا ان عبد الملک
ما اراد الحط من شان الکعبۃ ومس شرفھا ولکن اضطر الی قتال ابن الزبیر فوقع
ما وقع عرضا غیر مقصود بالذات ولذلک لما نصب الحجاج المناجیق علی الکعبۃ
حولھا عن الکعبۃ وجعل الغرض الزیادۃ التی کان زادھا ابن الزبیر صرح بذلک
العلامۃ البشاری فی احسن التقاسیم ثم ان من مسایل الفقہ ان البغاۃ اذا تحصنوا
بالکعبۃ لا یمنع ھذا عن قتالھم ولذلک امر النبی فی فتح الفتح بقتل احدھم وھو
متعلق باستار الکعبۃ وابن الزبیر کان عند اھل الشام من البغاۃ والمارقین عن الدین
ولو کان اراد الحجاج الاستھانۃ بالحرم لما کان مرادہ من رمتہ واصلاحہ
بعد قتل ابن الزبیر ومعلوم ان تعمیر الحجاج ھو الیوم کعبۃ الاسلام وقبلۃ المسلمین کافۃ
اما قول عبد الملک للقران ھذا فراق بینی وبینک، فحقیقتہ ان
عبد الملک کان قبل الخلافۃ ناسکا منقطعا الی العبادۃ لا یشتغل بشیء من الدنیا
قال نافع ما رایت فی المدینۃ اشد نسکا وعبادۃ من عبد الملک ولما سألوا ابن
عمر الی من نرجع فی الفتوی بعدک قال ولد لمروان وکان یقول ابن الزناد الفقھاء
فی المدینۃ سبع احدھم عبد الملک وقال الامام الشعبی ما جالست احدا الا وجدت

عليه الفضل الا عبد الملك بن مروان، ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطي في تاريخ الخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو يقرء القرآن تصوّر خطارة الامر وان مثل هذا العبأ لا يمكن تحمّله الا المنقطع اليه فقال تحسّرا هذا آخر العهد بك اي الآن لا يمكن الانقطاع الى العبادة وقراءة القرآن كما كان دابي اولا وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدّين مطلقا فانّا نرى اشتغال عبد الملك بالفرائض والسُّنن فيما بعد فهو يصوم ويصلي ويحج قال اليعقوبي في تاريخه واقام الحج للناس في ولايته سنة ٧٢ الحجاج بن يوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضا وسنة ٧٥ عبد الملك بن مروان وسنة ٧٦ ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٧٧ ابّان ايضا وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ابّان ايضا وسنة سليمان بن عبد الملك (وسرد باقي السنوات فتركناها) وعبد الملك هو الذي كسا الكعبة الدّيباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم،

قال المولف،

”ويحتزّ راسه بيده داخل مسجد الكعبة“ (الجزء الرابع صفحة ٩٠)

استند المؤلف في هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الكتب في مثل هذه الوقايع هو من احدى حيل المولف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة في الطبري وابن الاثير وغيرها من المصادر التاريخية المتداولة الموثوقة بها وعليها المعوّل واليها المرجع لكن لما لم يكن كيفية الحادثة في هذه الكتب وفق هوى المؤلف اعرض عن هذه كلها

وتشبثت بكتاب هو فى علاد المحاضرات وانما يرجع الى امثاله اذا لم يكن فى الباب مستند غيره ومتى مالم يخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبدالله بن الزبير اصيب فى الحجون وقتل هنالك قتله رجل من المراد وما احتز راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"،

قدمنا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصب المناجيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتب القتال اول ما فعله الحجاج كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شئ واحد،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وانشد،

اتوعد كل جبار عنيد | فها انا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر | فقل لله مزقنى الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلوم ان صاحب الاغانى شيعى ديانته شنان بنى امية والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهر عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقد الروايات والذين

قولهم فصل فی هذا الباب فیجد من امثال هذه الروایات المختلفة قال العلامة الذهبی وهو راس الحدیث ومرجع الروایة "لم یصح عن الولید کفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا علیه لذلك" (تاریخ الخلفاء للسیوطی ترجمة الولید)

ثم ان ههنا امراً اخر وهو ان الناقم علی الولید وقاتله هو خلیفة اموی، فکیف ینسب استهانة الدین الی خلفاء بنی امیة عامتهم ثم ان هذا الذی عزا الیه صاحب الاغانی الاستهانة بالقرآن قد ذکر له صاحب العقد ما ینبیٔ عن تعظیمه للقرآن وتفخیمه شانه وحث الناس علی حفظه وتعهده قال صاحب العقد[له] انه شکا رجل من بنی مخزوم دیناً لزمه فقال (الولید) اقضیه عنك ان کنت لذلك مستحقاً قال یا امیر المومنین کیف لا اکون مستحقاً فی منزلتی وقرابتی قال قرأت القرآن قال لا قال فادن منی فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضیب فی یده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسایه ضم الیك هذا العلج ولا تفارقه حتی یقرء القرآن فقام الیه اخر فقال یا امیر المومنین اقض دینی فقال له اتقرء القرآن قال نعم فاستقراه عشراً من الانفال وعشراً من براءة فقرء فقال نعم نقضی دینك وانت اهل لذلك" فانت تری ان الولید یعد من لا یقرء القرآن علجاً والمولف یعد الولید علجاً،

فاما ما ذکره المولف من اقوال الحجاج وخالد القسری فی انهما کانا

[له] الجزء الثانی صفحة ٢٥٨

يفضلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقًّا ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة فى الدولة العباسية كالعجاردة وابن الراوندى الذى عمل كتابا رد فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو امية وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بنى امية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال "هل الحجاج استقر فى جهنم او يهوى الى الآن" ولما وصل هشام ان خالد القسرى استخف بامرءة مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلًا او رجلين من بنى امية بالطاعن لا عترفنا به ولكن من سوء مكيدة المولف انه يجعل الفرد جماعةً والفذَّ توءمًا والنادر عامًا والشاذَّ مطردا۔

جور بنى امية سمعنا بمظالم بخت نصر وَاَحطنا علمًا بشنايع چنگيز خان واطّلعنا على ما جنته ايدى **التتر** فوالله (لو صدق المولف) هم ما كانوا اشد قسوة ولا افظع اعمالا ولا اسفك دماءً ولا اجمع لانواع الفتك من بنى امية،

قال المولف، حتى فى ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة × ×

وارسل معه جيشا ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

فی الارض و یقتلوا کل من وجدوه من شیعة علیؓ ولا یکفوا ایدیهم عن النساء والصبیان (الجزء الرابع صفحه ۵۲)

قبل ان اکشف عن جلیة الامر لابد من تقدیم مقدمة، وهی ان المؤلف مدح بنی العباس و جعل اعمالهم مناط العدل ودلالة علی الرفق فقال،

ولا غرابة فیما تقدم من عمران البلاد فی ظل الدولة العباسیة فان العدالة توطد دعایم الامن واذا امن الناس علی رواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل فتعمر البلاد ویرفه اهلها ویکثر خراجها (الجزء الثانی صفحه ۱۰۸)

وعلی هذا فاذا وجدنا بنی امیة معادلین لبنی العباس فی جمیع اعمالهم سواءً بسواءٍ کان اختصاصهم بالذم دون بنی العباس جوراً فاحشاً ومیلاً عظیماً، ثم ان هناک امر اخر وهو ان المورخین باسرهم کانوا فی عصر بنی العباس ومن المعلوم انه لم یکن یستطیع احد ان یذکر محاسن بنی امیة فی دولة العباسیین فاذا اصدر من احدٍ شیءٌ من ذلک فلتة کان یقاسی قائلها انواعاً من الهتک والایذاء ووخامة العاقبة وکم لنا من امثال هذه فی اسفار التاریخ، ومع اننا نفخر بان مورخی الاسلام کانوا اصدق الناس روایة واجرءهم علی اظهار الحق ما کان یمنعهم عن بیان الحقیقة سلطة ملکٍ ولا مهابة جائرٍ ولکن مع ذلک فرق بین تعمد الکذب والسکوت عن الحق ولذلک نعتقد انهم ما قالوا شیئاً افتراءً علی بنی امیة ولکن ان قلنا انهم کثیراً ما سکتوا عن محاسنهم فذلک شیءٌ لا یدفع ولیس فیه غضٌ منهم۔

امابنو العباس فكانوا فی عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس رضاهم الحيوة وسخطهم الموت، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام فی الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الی قول المولف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان، اعلم ان هذه الواقعة ای ارسال بسر ابن ارطاة الی شيعة علیؑ من اشهر الوقايع المذكورة فی ساير كتب التواريخ وليس فی احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية قال المورخ اليعقوبی "ووجّه معاوية بسر بن ارطاة وقيل بن ارطاة العامری من بنی عامر بن لوی فی ثلثة الاف رجل فقال له سرحتی تمرّ بالمدينة فاطرد اهلها واخف من مررت بها وانهب مال من اصبت له مالا ممن لم يكن دخل فی طاعتنا واوهم اهل المدينة انك تريد انفسهم وانه لا براءة لهم عندك
حتی تدخل مكة ولا تعرض فيها لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة
ثم امض حتی تاتی صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءنی كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمرّ بحیٍّ من احياء العرب الا فعل ما امره معاوية (اليعقوبی طبع اوربا صفحه ۲۳۱ من الجزء الثانی)

فتری فی هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وايهام لما رای المؤلف ان المصادر التاريخية الموثوقة بها لا توجد فيها ما يوافق هواه جنح الی الاغانی ونقل امر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بان المظنون ان

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد لبسر ولم يعين له حدوداً وكان بسر سفاكاً للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخاً"

قد قلنا ان الاغانی من کتب المحاضرات فاذا کان الامر هیناً وکان الحدیث فکاهة او تسلیاً من کد العمل لی استراحة فلا باس به وبامثاله اما اذا کان الامر ذا بال وکان الواقعة معترک الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعاً لشان اوهادماً لاساس فامثال هذه الکتب لا یؤذن لها ولا یلتفت الیها مطلقاً،

ثم ان الرجل (ای صاحب الاغانی) شیعی اذا جاءه شئ مما یشین معاویة ویدنسه وجد من نفسه ارتیاحاً الی قبوله ولو کان من اوهن الاحادیث واکذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلین ولکن القتل لم یتجاوز الاثنین فاین هذا من قول المولف،

"وکان بسر سفاکا للدماء فلم یستثن طفلا ولا شیخا"،

قال المولف" فاذا کان هذا حال العمال فی ایام معاویة مع حلمه وطول اناته فکیف فی ایام عبدالملک مع شدته وفتکه فهل یستغرب ما یقال عن فتک الحجاج وکثرة من قتلهم صبراً ولو کانوا ۱۲۰۰۰۰

(الجزء الرابع صفحة ۸۳)

نعم قتل الحجاج مائة الف او مائتین ولکن این هذا من صنیعة ابی مسلم

الخراسانی القایم بدعوۃ بنی العباس المؤسس لدولتهم فانه قتل صبرا بدون حرب مایبلغ عدده ستمایة الف وقد اعترف به المولف فی هذا التالیف نفسه (الجزء الرابع صفحه ۱۱۲) والمولف یحتال لذلك عذرا ویحسبه من طبیعة السیاسة فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربی قح طبعه الجفاء والقسوة اما ابومسلم فعجمی تربّی فی حجر التمدن وغذی بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،

اما قوله "عبد الملك كان اشد وطاةً منه" (ای من الحجاج) فلم یات علیه بشاهد غیر غدره بعمرو بن سعید واین هذا من غدر المنصور العباسی بابی مسلم الذی هو ربّ الدولة العباسیة ولولاه لما قامت للعباسیین قایمة ولا كان لهم ذكر وكذلك غدر المنصور بابن هبیرة،

وغایة مایقضی منه العجب ان المولف بعد ماذكر فتك بنی امیة بقوله "وقد نفعتهم هذه السیاسة (ای سیاسة الفتك) فی تائید سلطانهم ثم قال صارت سنةً فی من ملك بعدهم من بنی العباس وغیرهم" وانت تعلم ان المولف یبرّیء ساحة العباسیة من الجور والظلم فضلاً عن الفتك فهل هذا تناقض فی القول او اراد بهم نفعا فضرّهم من حیث لایعلم لا والله لاهذا ولا ذاك بل هی من مكاید المولف التی لایهتدی الیه الافطن خبیر بطویة الرجل وكامن ضغنه،

جور العمال | ذكر المولف تحت هذا العنوان انواعا من الجور والشدة الصادرة من عمال بنی امیة ونحن نذكر بعضا منها مع كشف الحقیقة،

قال یذکر جور العمال" واذا اتی احدھم بالدراھم لیودیھا فی خراجہ یقتطع الجابی منھا طائفةً ویقول ھذا رواجھا وصرفھا" (الجزء الثانی صفحہ ۲۲ واستند فی الھامش بکتاب الخراج لابی یوسف صفحہ ۶۲)

ایھا الفاضل المولف! الیس لک وازع من نفسک، الیس لک رادع من دیانتک۔ اتجترئ علی مثل ھذا الکذب الظاھر والمین الفاحش جھرة فان القاضی ابا یوسف ما تکلم فی شان عمال بنی امیة ببنت شفة وانما ذکر عن عمال ھرون الرشید واساء تھم العمل فی جبایة الخراج وکتاب الخراج لابی یوسف بین ایدینا وقد طبع فی مصر وتداولتہ الایدی وتناقلتہ الالسن،

قال المولف،

"وفی کلام القاضی ابی یوسف فی عرض وصیتہ للرشید بشان عمال الخراج ما یبین الطرق التی کان اولئک الصغار یجمعون الاموال بھا قال "بلغنی انہ قد یکون فی حاشیة العامل والوالی جماعة منھم لہ بہ حرمةً ومنھم من لہ الیہ وسیلة لیسوا ابرارٍ ولا صالحین یستعین بھم ویوجّھھم فی عمالۃ یقتضی بذلک الذمامات فلیس یحفظون ما یوکلون بحفظہ ولا ینفقون من یعاملونہ انما مذھبھم اخذ شئ من الخراج کان او من اموال الرعیة ویقیمون اھل الخراج فی الشمس ویضربونھم الضرب الشدید ویعلّقون علیھم الجرار ویقیدونھم بما یمنعھم من الصّلوة وھذا عظیمٌ

عند اللہ شنیع فی الاسلام (الجزء الثانی صفحة ۲۳ و ۲۴ مستندًا

الی کتاب الخراج صفحہ ۶۱ و ۶۲)

اللہ اکبر! اھل سمع احدٌ باعظم من ھذا التدلیس والتلبیس یشتکی القاضی

ابویوسف من عُمّال ھٰرون الرشید ویرفع القضیۃ الیہ ویبین ما بلغہ

مما یرتکب عمالہ فی اخذ الاموال من الرعایا، فیاخذ المولف اقوالہ وینقلھا من حیث

انما ھی الطرق التی کان عمال بنی امیۃ یجمعون الاموال بھا، ھا ھو کتاب الخراج

بایدینا قرءناہ وقلبناہ ظھرًا عن بطنٍ وکررنا فیہ النظر لا کرۃ او کرتین بل مرات

متوالیۃ متتابعۃٍ فما وجدنا فیہ کلمۃ فی شان عمال بنی امیۃ وانما قال ما قال

ابویوسف یعظ الرشید بما بلغہ عن عمالہ الی ان خاطبہ بقولہ،

فلو تقربت الی اللہ عزوجل یا امیر المومنین ابا لجلوس لمظالم رعیتک

فی الشھر او الشھرین مجلسًا واحدًا تسمع فیہ من المظلوم وتنکر علی الظالم

رجوتُ ان لا تکون ممن احتجب عن حوائج رعیتہ ولعلک لا تجلس الا مجلسًا

او مجلسین حتی یسیر ذلک فی الامصار والمدن فیخاف الظالم وقوفک

علی ظلمہ فلا یجترئ علی الظلم ** مع انہ متی علم العمال والولاۃ

انک تجلس للنظر فی امور الناس یومًا فی السنۃ لیس یومًا فی الشھر

تناھوا باذن اللہ عن الظلم وانصفوا من انفسھم (کتاب الخراج

صفحۃ ۶۳ و ۶۴)

لا فُضَّ فوك يا ابا يوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملكٍ جبارٍ كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة وبالكبر جرأتك ايها الفاضل (جرجي زيدان) تتبعت سيرة عمال بني اميّة وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصّي فاعوزك كل هذا وما وجدت في اعمالهم شيئا من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بني امية،

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجا في ابتزاز الاموال من اهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فيءٌ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٥)

الذي اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصّه

"وكان من جملة نتايج تعصب بني امية للعرب واحتقارهم ساير الامم انهم اعتبروا اهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم يدلّ على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما شئنا اخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما ساله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلّا على ان العرب وبني امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا وظنا منهم ان اموالهم

واعراضهم اُبیحت لهم مطلقا۔

حقیقة القول انه لما فتحت البلاد فی خلافة **الفاروق** تقدم بعض الصحابة کعبد الرحمن بن عوف وبلال وغیرهما وقالوا ان الارض مقسومه بیننا کما قسم رسول الله خیبر وکان الفاروق رأی غیر هذا فقام النزاع حتی وُفِّقَ الی الاستناد بنص القرآن فسکتوا ورضوا والقصة مذکورة بتفاصیلها فی کتاب الخراج للقاضی ابی یوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحًا فمتی کان الخراج او الجزیة شیئًا مُسمًّی مُعیّنًا ما کانوا یرون الزیادة علیه وان اکثرت الارض خیراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فکان الخراج او الجزیة علیها بقدر النقص والزیادة وهذا هو قول عمرو "ان کثر علینا کثرنا علیکم وان خفف عنا خففنا عنکم" وقد اشار الی ذلک المقریزی فی تاریخه والعلامة السیوطی فی حسن المحاضرة فاما قول سعید بن العاص الذی استند به المؤلف فتحریف الکلام عن موضعه علی جاری عادته فان المؤلف نقل هذه الروایة من الاغانی والمذکور فیه ما حاصله "ان احدا مدح السواد عند سعید بن العاص وبالغ فیه فقال بعضهم نعم ویالیته کان لامیرنا فقال بعض من حضر لا تعطِ ارضنا للامیر فقال الرجل ولو شاء الامیر لاخذه فانکروا قوله فقال سعید بن العاص "السواد بستان قریش الخ" فقال الرجل لا انه من منابت رماحنا" فانت تری ان النزاع بین الجند وامیر البلد هنا هو النزاع الذی کان بین بعض الصحابة وعمر الفاروق وای متشبث فی ذلک للمؤلف۔

فان سعید بن العاص قال ما قال رَدًّا علی الجند بدعوی ان الارض لا تقسم بین فاتحی البلاد بل ھی تحت ید الخلیفۃ او من ینوب عنہ وانما ذکر سعید قریشا لان الخلافۃ علی زعمھم للقریش خاصۃ،

قال المولف،

فکان الخلفاء یکتبون الی عمالھم بجمع الاموال وحشدھا والعمال لا یبالون کیف یجمعونھا فقد کتب معاویۃ الی زیاد "اصطف لی الصفراء والبیضاء فکتب زیاد الی عمالہ بذلک واوصاھم ان یوافوہ بالمال ولا یقسموا بین المسلمین ذھبا ولا فضۃً" (الجزء الرابع صفحۃ ۹ واحال الروایۃ فی الھامش علی العقد الفرید صفحۃ ۱۰ من الجلد الاول)

ننقل ماخذ ھذہ الروایۃ کما صرح بہ المولف فی الھامش لتری خیانات المولف واحدۃ بعد واحدۃ، قال صاحب العقد،

"ونظیر ھذا القول ما رواہ الاعمش عن الشعبی ان زیادا کتب الی الحکم بن عمر الغفاری وکان علی الطایفۃ ان امیر المومنین کتب الیّ ان اصطفی لہ الصفراء والبیضاء فلا تقسم بین الناس ذھبا ولا فضۃ فکتب الیہ انی وجدت کتاب اللہ قبل کتاب امیر المومنین ثم نادی فی الناس فقسم لھم ما اجتمع من الفیٔ" (العقد الفرید المجلد الاول صفحۃ ۱۰)

فانظر اوّلاً، انّه ليس فی هذه الرواية انّ معاوية كتب الی زياد بل ان زياد كتب الی الحكم انّ امير المومنين كتب الیّ، ولعل زياد كذب فی ذلك او فهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانياً، انّ المولّف حذف كل ما قال الشعبی وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته علی ان فی عمّال بنی امية من لا يمنعه عن الصلح بالحق واداء الواجب احدٌ- لا ولاةُ الامصار ولا من فوقهم ای الخليفة نفسه،

ثالثاً، انّه ليس فی هذه العبارة ما يستدل به علی استيثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمّال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكولٌ الی الخليفة فعلی العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الی الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها،

قال المولف،

"فكان العمال يبذلون الجهد فی جمع الاموال بايّة وسيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فی اوّل الاسلام الجزيّة وكثرة اهل الذمّة فكان عمال بنی امية يشدّد دون فی تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فی الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدّ والسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فی الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدی به غيره من عمال بنی امية فی افريقة وخراسان وماوراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهم يودّون البقاء فيه وخصوصًا اهل خراسان وماوراء النهر فانّهم طلبوا الى اواخر بنی امیّة لا یمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزیة منهم بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ۷۰)

ذکر المولّف هذه الواقعة ای اخذ الجزیة بعد الاسلام فی غیر موضع بعبارات متنوعة قویة الاخذ بالنفس شدیدة الوطأة علی القلب یترای للناظر فیها انّ الناس حیطوا من کل جانب جورًا وعدوانًا فاذا ابقوا علی الکفر یعانون من الشدة ما یلجیهم الی الاسلام واذا اسلموا فالجزیة باقیة علی حالها لا یخفف عنهم العذاب ولا هم ینصرون،

اعلم ان الجزیة لیست الا بدلا عسکریًا فمن یذبّ عن بیضة الملك بنفسه فهو غیر ماخوذ بها امّا من ضنّ بالنفس ولا یصلح لذلك فعلیه ان یودی شیئًا من المال لیکون عدّةً للعسکر وعونًا له واوّل من سنّ الجزیة وجعل لها وضایع کسری نوشروان کما ذکره ابن الاثیر وصرّح بانها هی الوضایع التی اقتدی بها عمر بن الخطاب، وکم تجد فی البلاذری والطبری وغیرها انّ اقوامًا من النصاری فی عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فی الجند سقطت عنهم الجزیة واعفی عمر بن الخطاب نصاری تغلب عن الجزیة واضعف علیها الصدقة وجملة القول ان الجزیة لم یکن فی الاصل شیئٌ یحدُّ بین الکفر والاسلام ولکن لما کان غالب الحال ان اهل البلاد من النصاری والمجوس والیهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحروب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعا اومكرهًا، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

۲- ولما لم ينفصل الامر بتةً وبقى للاجتهاد موضع ومُتَّسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

۳- ولكن مع هذا لم يتفق ذلك فى مدى الخلافة الاموية الامرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فامّا ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله اتيا ففى سنہ لما كتب الحجاج الى البصرة بِرَدّ من اَسلَمَ من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القُرّاء وخرجوا يبكون مع البُكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزّين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنہ فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيدُ بن ابى مسلم فى افريقية سنة ۱۰۲ ام اَلبّ الناس عليه و قتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنتُ مُستحسِنًا

عمل يزيد والقصة مذكورة فی الكامل تحت حوادث سنة ۱۰۲ وكان آخر ما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فی خراسان فاورث ثورة واشترك العرب مع الثائرين ونصروهم اما خلفاء بنی امية فلم يثبت من احد منهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية علی من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجرة فتركه والقصة مذكورة فی المقريزی بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨٠ من الجزء الاول) والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم علی يد ابن الاشعث انكاراً علی صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثانی صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابی مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم ای قتلهم يزيد بن ابی مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه

ولما ثبت ان ضرب الجزية علی حديثی العهد بالاسلام لم يامر به احدٌ من خلفاء بنی امية وانما كان اجتهاداً من بعض العمال بناءً علی ان اسقاط الجزية يورث نقصاً فی الخراج وان الخلفاء كلما عثروا علی ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تالب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال" استحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزر بعض العمال على بنى امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بنى امية ياتون هذه الاعمال من عند انفسهم دايما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بامر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثانى صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

"انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى ان تلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحضار الرهبان وفرض على كل راهب دينارا"، (الجزء الثانى صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزى صفحة ٤٩٢ من الجزء الثانى)۔

ايها الفاضل المؤلف اما هذا الاجتراء اما هذا الاختلاق؟ اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزى۔ "ثم قدم اليعاقبة فى سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدايد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الا ان دینارو فی ایامه امر عبد العزیز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحصوا واخذت منهم الجزیة علی کل حالم دینار دهی ول جزیة اخذت من الرهبان" (الجزء الثانی من المقریزی صفحہ ۴۹۲)

فهل تجد فی هذه العبارة ادنی اشارة الی ان عبد العزیز او احد غیره شدد فی الجزیة فاختار والرهبنة طلبا للنجاة من الجزیة فما نفعهم وانما فیها ان عبد العزیز بن مروان وضع الجزیة علی الرهبان وهذا لیس فیه کبیر شئ فان الرهبان وان کانوا معافون عن الجزیة ولکن لما لم یکن الامر منصوصا لا فی الکتاب ولا فی السنة کان للاجتهاد فیه مساغ فاجتهد عبد العزیز واخطاء،

انه هذا البحث | لو سردنا کل ما قال المولف عن جور بنی امیة وعمالهم واستیثارهم الاموال واسرافهم فی استلابها وبیّنا ما فی کل قول من التحریف والتدلیس وتغییر المعنی والخیانة فی النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الکلام واحتجنا الی عمل کتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلک اقتصرنا علی کشف بعض دسایسه مع انه قُلٌّ من کلٍّ وغیضٌ من فیض،[۱]

[۱] ومما یناسب ذکره فی هذا المقام ان المولف لما انجز الجزء الاول من کتابه ارسله الیّ فکتبت الیه بعد الاعجاب به انه لابد من ذکر مصادر الروایات فی کل موضع وذلک لاجل انی کنت اخاف علیه التدلیس، فاظهر المولف فی مقدمة الجزء الثانی انه عمل بذلک، ویذکر الکتاب والجزء والصفحة ولکن من الاسف ان کل هذا ما اجدی نفعا فانه ما یذکر المطبعة ولاجل هذا کابدتُ فی تطبیق مصادر کتابه محنة عظیمة فان النُسخ مختلفة ولا یدری ای نسخة ارادها وبسبب ذلک ما اهتدنا الی اکثر خیاناتها ومن المحقق المستیقن به انه ما نقل عبارة الّا وعمل فیها شیئا من التحریف والتغییر ومن کان فی ریب من ذلک فلیراجع الاصول ویکابد محنة التطبیق لیؤمن بما قلته مع حیرة واند هاش ۱۲-

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فاىّ متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى اميّة ولعلك تقول لابد فى تاريخ تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد والجور او العدل والنصفة فجرّ ذلك الى كشف عوار بنى اميّة عرضا ولكن انا اشدك بالله اما كان لاحدٍ منهم ماثرةٌ تذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع البلاد ومعدلةٌ تعم الناس نعم ان بنى امية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين وليس هذا عارًا عليهم ولا فيه حطٌّ لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم امرٌ خارج عن طوق البشر وليس فيه مَطمعٌ لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن التوازن والتكايُل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعدلهم سيرة وامثلهم طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل حد قسطه واعطى كل ذى حق حقّه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من الآخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انّه لو يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب اى ذم العرب والحطّ من شانهم فانه ذم بنى اميّة لانهم العرب بحتة ومدح العباسيّين لا لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبىّ بل لانّ دولتهم دولة عجمية وقد مر نصّه فى ذلك سابقا،

وحان لنا ان نذكر طرفا من مآثر بني امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن في اقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق معاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه ××× فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمرأة ومن لا احد له فيقول ظُلِمتُ فيقول أعِزُّوه ويقول عُدِي عليّ فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروه في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سُميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول شُهِدَ فلانٌ فيقول افرضوا له ويقوم

اخر فاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهدوهم واقضوا حوائجهم، ثم
يوتى بالغداء، والكاتب يقرء كتابه فيامر فيه، حتى ياتى على اصحاب
الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون اونحوهم
على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد
حكاية معترضة" فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من
اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب
به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات" ثم ذكر بعد
ذلك عدة وقايع تركناها هرباً عن الاطناب،

فاما عبدالملك فقال المدائنى "كان يقال معاوية احلم وعبدالملك احزم
وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث
المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرحون بن منصور الرومى (وهو نصرانى)
وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض
معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبدالله بن عمر ومحمد
بن حنفية" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و
عبادته ما فيه كفاءة فيما مرّ،

ومما ينقم عليه تاميره الحجاج ولكن الدولة تحتاج فى ابانها واوّل نشاءتها

الی مثال ذلك وهذا ابومسلم الخراسانی مؤسس الدولة العباسية قتل ستمايه الف رجل صبرا وهذا ابوجعفر المنصور فعل بالهاشميين مالم يسبق له نظير فی الاسلام ومع ذلك فانی اعوذ بالله ان اتوم ذاتا عن الحجاج ومدافعا عنه"

اما الوليد فكان اهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد

"كان الوليد عند اهل الشام افضل خلفايهم واكثرهم فتوحا، واعظمهم نفقة فی سبيل الله بنی مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطی المجذومين حتی اغناهم عن سوال الناس واعطی كل مقعد خادما وكل ضرير قايدا وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح" وهو الذی وسّع مسجد النبیؐ وذهّب البيت قال اليعقوبی ان الوليد بعث الی ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بماية الف مثقال ذهبا ومأية فاعل واربعين حملا فسيفساء * وبعث الوليد الی خالد بن عبدالله القسری وهو علی مكة بثلثين الف دينار فضربت صفايح وجعلت علی باب الكعبة * فكان اول من ذهّب البيت فی الاسلام وحج الوليد سنة ۹۱ لينظر الی البيت والی المسجد وما اصلح منه والی البيت وتذهيبه"

وقال اليعقوبی كان اول من عمل البيمارستان للمرضی ودار الضيافة واول من اجری علی العميان والمساكين والمجذومين الارزاق،

وقال السيوطی فی تاريخه للخلفاء "وكان مع ذلك (ای كونه جبارا ظلوما)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين،

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب امور الملك والرعية وتوطد دعايم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم،

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطلعٌ لطامح انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام و مصر وبلاد الفرس فلما تسنّمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت ممالكه وغلب سلطانه وامتدت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احدٌ من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم فتحوا اطرابلس وطنجة وساير بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش ورودس وغيرها من جزاير البحر وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا اسوار القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها وافتتح السند محمد الثقفى احدُ ابناء قوّادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولاً ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس والاندلس وارمينة وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فى سعة الملك ومن يباريهم فى كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك والرعية ليس فى سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هنا تانق فى امور المملكة ونظر فى امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فى عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فى امور اهلها ليسوا عند ذوى الخبرة من اهل التاريخ اسمى منزلة واعلى مكانة من قطاع الطريق الذين يعثون فى الارض مفسدين اما ملوك بنى امية فقد جمعوا بين بسعة الملك والنظر فى امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذومين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التى هى كالطل من الوبل اما المصانع فانه حصن هشام المنقب على يد حسان بن ماهون الانطاكى وحفر له خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصن مورة وحصن بوقا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذى

هدامه الرشيد و فرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين. وسار
العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا
واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من
اهل الشام على العطأ وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح و
امر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احد امراءهم فى سنة ٨٣
مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها
واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها
القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج وبنى احد قوادهم عقبة بن نافع
الفهرى بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض
فى الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطُّرق وعمّروا السُّبل فكان موضع قيروان غيضة ذات
طرفاء وشجر لا يرام من السّباع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك
المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية آمنةً مستانسة بعد ما كانت مستوحشة
ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة
يعترض للنّاس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس
فنفع الله بها واذكر ما كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ۸۸ "ان الوليد كتب
الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ماهناك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ٨٠ فى زمن عبد الملك امر عامله بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على فوائم السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى

ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجابرون الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب ونهر حرب ونهر يزيدان ونهر سلم ونهر ناقد ونهر خيرتان ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزور ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها بالبصرة[1] فما بال غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

[1] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

فی کثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من نار علی علم

وبنوامیّة هم اول من اتخذ دار الضرب فی الاسلام فکسوا به الاسلام رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونجّوه عما اوعده الروم بنقش شتم النبی صلی الله علیه وسلم علیها وهم الذین نقلوا الدفاتر والدواوین عن الفارسیة والرومیة والقبطیة الی العربیة[۵۱] فزادت العربیة انتشارا ونفوذا ولم یمض برهة من الدهر حتی اصبحت هذه البلاد عربیة النزعة واللسان وهم اوّل من بنی مستشفی فی الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانین جعلوا فیه الاطباء وامروا بحبس المجذومین واجروا الهم الارزاق وهم اول من انشاء دار اللعمیان وهم اول من عمل دار الضیافة بعد[۵۲] عمر بن الخطاب وهم اول من رتّب للایتام وتحنن الیهم ورتب لهم المودبین لیعلموهم[۵۳]،

نشر المعارف والعلم اما العلم فقد فخرهم بحره وزهر بدره فالقرآن الذی هو عمود الاسلام وراس العلوم وینبوع المعارف ادرک الامة قبل اختلافها فیه عثمان بن عفان وهو اموی ثم بعد ذلک اختلط العرب بالعجم واحتکت بهم ففسدت لغتها واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فکثر التصحیف فی القرآن

۵۱ راجع لکل ذلک فتوح البلدان للبلاذری،

۵۲ الیعقوبی ذکر الولید،

۵۳ السیوطی ذکر الولید،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امية الی کتّابه فوضعوا النقط والاعجام[۵۱] فعصموا به کتاب الله ان يتطرق اليه التصحيف والتحريف تطرقهما الی التوراة والانجيل و والله هذا اعظم مبرّة بُرّبها الاسلام لايسا ويها مبرّة واعظم منّة مُنّ بها علی الدين لايوازيها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرقها فی الامصار وکان الوليد الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن يحث الناس علی حفظ القرآن وکان يجزل الصلات لحفظته ويضرب الذين لم يحفظوه[۵۲] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسير ففی ايامهم نبغت اجلة المفسرين من التابعين وفی ايامهم دُوّن التفسير فی الصحف فاول من وضع فی التفسير ابن جبير بامر عبدالملک[۵۳] ثم مجاهد

اما الحديث فکانوا يدرّون علی اهله الصلات ويبعثون اليهم بالهدايا ويجرون لهم الارزاق لينقطعوا الی حفظ الحديث وروايته ونقله وکانوا يکرمون الفقهاء ويجلّون مقامهم ويراعون جانبهم فقد کان يصيح صائحٌ من بنی مروان فی موسم الحج الا لايفتی للناس الا عطاء بن ابی رباح، اجلالاً لشانه ولکثرة علمه بالمناسک[۵۴] وکان عبدالملک امر الحجاج وهو اميره

---

۵۱ ابن خلکان ذکر الحجاج، ۵۳ ميزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دينار

۵۲ العقد اخبار الوليد وابن الاثير سنة ۸۸،

۵۳ ابن خلکان ذکر عطاء، ۵۴ مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

على الموسم ان يقدم ابن عمر فى الحج ويقبض اثره فى المناسك وكان سالم
ابن عبدالله والقاسم بن محمد والشعبى وميمون بن مهران والزهرى و
ايوب بن ابى تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحيوة اعزة عند بنى امية
وكان اكثرهم عمالا لهم وهم اساطين الحديث وائمة الرواية واعلام النقل
وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة
التاريخ من امر اهل هذا الشان بتدوينها فى الكتب اليس هو عمر بن عبد العزيز
الاموى فجاء فى الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الآفاق "انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه" وكتب الى ابى بكر بن حزم راس
المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم
وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا فى الحديث فتوفى عمر ثم وضع الكتب فيه
ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[له]
اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بنى امية ذكر
ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلى استاذن زياد بن ابيه
وهو والى العراقين يومئذ ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له
صواب رايه فدعا الدؤلى وقال له ضع للناس الذى نهيتك ان تضع لهم

[له] مقدمة الزرقانى على الموطا

فوضع واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهری وعنه میمون وعنه عبد الله الحضری وعنه عیسی بن عمر وعنه الخلیل[1] وهؤلاء کلهم کانوا فی عصر بنی امیّة وهم واضعوا النحو ومدونوا اصوله،

اما الشعر فقد ففی عصرهم فتقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذکرهم ففحول الشعر وامراء القول وفرسان القریض هم الفرزدق الدارمی وجریر الخطفی والاخطل التغلبی وعمر بن ابی ربیعة القرشی وکثیر عزّة وجمیل بثینة ومجنون لیلی وذو الرّمة غیلان ونصیب هؤلاء کلهم کانوا یقصدونهم بجیاد قصایدهم فکانوا یغمرونهم بالجوائز فنطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزینة للغة،

وکانوا یحثون الناس علی اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وکانوا یستوفدون الشعراء ویستزیرونهم ویجیزونهم بالاموال الجزیلة وکانوا یرسلون ابناءهم الی البادیة لیتلقنوا الادب ویتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادیة وقد جمع الولید بن یزید عبد الملک دیوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[2]،

اما علم التاریخ والسیر والمغازی فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره ففحول اصحاب السیر والمغازی هو وهب بن منبه عالم الیمن المتوفی سنة ۱۱۴ ومحمد بن مسلم الزهری صاحب عبد الملک المتوفی سنة ۱۲۴

---

[1] ابن خلکان المجلد ۲ صفحة ۳۸۰، [2] الفهرست صفحة ۹۱،

وموسیٰ بن عقبۃ المتوفی سنۃ ۱۴۱ وھؤلاء کلھم کتب فی التاریخ والسیر والمغازی[1]
ووضع فی ایامھم **عوانۃ** المتوفی سنۃ ۱۴۷ کتاب التاریخ وکتاب سیرۃ معاویۃ و
بنی امیۃ وکان لملوک بنی امیۃ رغبۃ شدیدۃ فی استطلاع الاخبار الماضیۃ و
حوادث الامم الخالیۃ قال المسعودی انہ کان معاویۃ یجلس لاصحاب الاخبار
فی کل لیلۃ بعد العشاء الی ثلث اللیل ثم ینام ثلث اللیل ثم یقوم فیاتیہ غلمان
وعندھم کتب فیقرؤن علیہ ما فی الکتب من اخبار الامم وسیر الملوک وسیاسات
الدول ولم یصبر علی ذلک حتی استحضر عالم عصرہ عبید بن شریہ من
صنعاء الیمن وسالہ عن الاخبار المتقدمۃ وملوک العجم وسبب تبلبل الالسنۃ
وامر افتراق الناس فی البلاد وامرہ ان یدون ما علمہ وعاش عبید الی ایام
عبد الملک وتوفی ولہ من الکتب کتاب الامثال وکتاب اخبار الماضیین[2]
واخذ عنہ اناس سماھم ابن الندیم وکان من رواتہ زید الکلابی فی ایام
یزید بن معاویۃ عارف بایام العرب واحادیثھا (الفہرست صفحۃ ۹۰) وقد
کان ھشام مشغوفا بالسیر والاخبار فنقل لہ جبلۃ بعض کتب سیر الفرس
من الفارسیۃ الی العربیۃ وامر ھشام النقلۃ فنقلوا لہ کتاب تاریخ ملوک الفرس
وقوانین دولتھم وتراجم رجالھم وکان ھذا الکتاب مصورا تم نقلہ سنۃ ۱۱۳

[1] راجع کشف الظنون وتذکرۃ الحفاظ،

[2] کتاب الفہرست صفحۃ ۲۴۴،

راٰه المسعودی سنة ۳۰۳ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلها الی العربیة آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اوّل نقل فی الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة عارف بالعربیة اسمه ماسرجویه فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا الکتاب فی خزاین الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثه فی ایدیهم وخالد بن یزید بن معاویة حکیم آل امیّة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر ومنهم مریانوس الرومی الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا و الطب وکان بصیرًا بهذین العلمین متقنا لهما وله رسایل دالّة علی معرفته وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن الندیم فی فهرسته ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المارّ ذکره رسایل ارسطاطالیس الی الاسکندر فبناءً علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

له اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدناهم فی الاسلام هم اوّل من امر بنقل العلوم الی العربیة فی الاسلام هم اول من انشأ خزاین للکتب فی الاسلام وقد اضربنا صفحا عما کان لآل امیة بالاندلس فی السیاسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجلیلة والسیر العادلة فهل لك ایها الفاضل المؤلف الی الاذعان للحق من سبیل والی الرجوع من ضلال الرای من طریق،

صنیع المولف بالعباسیة عهدنا الوحوش الضاریة مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وکونها مطبوعة علی الافتراس والفتك والتروی بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عایلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبینما اهلها یبش کاشر عن الانیاب کالح الوجه مستبشع المنظر کریه الهیئة اذ هو هش بش حنون عطوف یذوب لطفا ورقة وکذلك شان قواد الجند وابطال الحرب فانك تری احدهم اذا نازل الاکفاء وناطح الاقران فهو شهاب ینقض ونار تلتهب وسعیر تفور واذا عاشر الاصحاب فهو الینهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جربنا المولف وجمنا عوده فی معاملته مع اعادیه (بنی امیة) فلننظر کیف حاله فی معاشرته مع اصدقایه (العباسیة)

قال المولف.

" فحبب بعضهم الی المنصور ان یستبدل الکعبة بما یقوم مقامها فی العراق و

تکون حجا للناس فبنی بناء سماه القبة الخضراء تصغیرا للکعبة وقطع المیرة

فی البحر عن المدینة" (الجزء الثانی صفحہ ۳۰)

وقال،

"واراد المعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب

بغداد واقام فیھا جندہ فانشاء فیھا کعبة وجعل حولھا طوافا واتخذ

منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحہ ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون فاخذ اشیاعہ وصرح باقوال لم یکونوا

یستطیعون التصریح بھا خوفا من غضب الفقھاء وفی جملتھا القول بخلق

القرآن ای انہ غیر منزل (الجزء الثالث صفحہ ۱۴۱)

غیر خافٍ علی احد ان العباسیة ان افتخروا وتطاولوا علی منازعیھم

فی الریاسة فمعظم فخرھم وابین حججھم انھم بنو عم النبی وسدنة البیت

وخدمة الحرم ودعاة الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور

وھو موسس دولتھم وفاتحة خلفاءھم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة

وقطع المیرة عن المدینة تضییقا علی اھلھا وان المامون وھو افضل خلفاءھم

دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وھو فحلھم وواسطة عقدھم

بنی کعبة فی سامرا وجعل لھا طوافا" ولعلک تقول ان الحاکم بالعدل والقایم

بالقسط لیس لہ حمیم ولا عدو فھو یتحرّی الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتتها سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميلٍ اليهم وكذلك اذا عرضت له حسنةٌ من بني امية فهو يُوَفِّي حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر، هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بني امية عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما اسبقنا ذكره فلوكان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن وههنا موضع نظرٍ الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغضّ من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذ وا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسًا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية لياخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معًا،

امّا كشف الجلية عن اصل الحال فالامر انّ من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الّا بالتظاهر بالدين والتصبّغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدلّي الى خاصّة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامّة والتحبّب الى الناس ولذلك كان الخلفاء من بنو امية

والعباسية كلاهما) يصلون بالناس ويؤمونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم او يرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما اراد اهل الشام المكيدة بعلي رضي الله عنه ورفعوا المصاحف كف اصحاب علي من القتال ولما قال علي هذه خديعة منهم قالوا اذا لم ترتد عن هذا خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضي بالتحكيم وفق رضاه ولما فعل يزيد ما فعل ضج الناس وكادوا يسطون عليه لولا انه مات عاجلاً ولما اراد الحجاج قتال ابن الزبير اغراهم بان ابن الزبير الحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التي كان زادها ابن الزبير رض ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس على انكار القران والعياذ بالله - فاما استشهاد المؤلف في هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريف وتدليس وسوء تاويل ولولا اني سئمت من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحت الامر وبينت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فی عیون اهل الدولة وتقاصرت ایدیهم عن اعمالها حتی فی مصر فاصبح لفظ العربی مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربی بمنزلة الکلب اطرح له کسرة واضرب راسه وقولهم لا یفلح احد من العرب الا ان یکون معه نبی ینصره الله به (الجزء الثانی صفحہ ۳۱و۳۲)

من احسن اعمال آل عباس عند المولف انهم صغروا شان العرب و ساموها الخسف وسلطوا علیهم الاعاجم والاتراک وجعلوهم ولاة البلاد بیدهم الامر والنهی والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذکر ذلک فی غیر مواضع وکلما ذکر وجد من نفسه ارتیاحا الیه وشفاء لحزازته وهزة لعطفه ونیلا لاربه ومع ان الواقعة مکذوبة او محرفة علی جری عادته فنحن لا ننازعه فی ذلک ونطوی الحدیث علی غرته ولکن نقول اذا مدح احد مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذللوا الفرنساویین وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلدوا الولایات الاجانب وجعلوهم قابضی ازمة الامور یولون ویعزلون وینفقون ویمسکون فهل هذا یکون مدحا ترضی به دولة فرنسا او یکون هذا عارا یستحی منه ومسبة یستنکف عنها وشناعة تشمئز عنها القلوب وانصف من نفسک ماکان حظ العباسیین من تولیة الاعاجم اما آل برمک فلا ننکر فضلهم ومحاسن آثارهم ولکنهم مع کل ذلک استأثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتی لم یکن حظ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطرّ الرشيدُ الى النكبة بهم و ازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم وعذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعًا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسةٌ تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها۔

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين و نال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صنفقته۔ فدبّر لذلك حِيَلًا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها فى ثنيّات الكلام وابعادها عن موضع العناية و تارةً بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرًا واذا كرّرت النظر فى كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدّدٌ ونظمت ما هو مفرّق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشدّ اعداء العلم وانهم ابادُوا الكتب و الخزانات واضطهدوا اعلى اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبيّن المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

”كان الاسلام فى اول مرة نهضة عربيّة والمسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين و بالعكس فى الاجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب
وتمكن هذا الاعتقاد فى الصحابة لما فازوا فى فتوحهم وتغلبوا على دولتى
الروم والفرس فنشأ فى اعتقادهم انه لا ينبغى ان يسود غيرا لعرب
ولا يتلى غير القرآن''

''اما فى الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام ان الاسلام يهدم ما كان
قبله فرسخ فى الاذهان انه لا ينبغى ان ينظر فى كتاب غير القرآن''

''فتوطدت العزايم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان
قبله من كتب العلم فى دولتى الروم والفرس كما حاولوا بعد ئذ بهدم
ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة''

(الجزء الثالث صفحه ۳۹)

''وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان
والفرس فى الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ۱۳۵)

حريق الخزانة الاسكندرية

لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد باباً لاثبات ان حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب فى ذلك واستدل عليه بستة دلائل نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالاً،

قال اولاً،

له الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فی صدر الاسلام فی محو کل کتاب غیر القرآن بالاسناد الی الاحادیث النبویة وتصریح مقدمی الصحابة"

الذی ذکر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحوّل علیه هٰهنا اقوال منها "ان الاسلام یهدم ما کان قبله" وکلنا یعرف ان المراد به ابطال عواید الجاهلیة ومزعوماتها ولیس المراد محو الکتب او احراق الخزاین ولکن لما کان المؤلف دخیلا فینا غریب الذوق والمعرفة حمل الکلام علی غیر محله اولعله عارف یتجاهل وبصیر یتعامٰی

ومنها قول النبی علیه السلام "لا تصدقوا اهل الکتاب ولا تکذبوهم وقولوا آمنّا بالذی انزل علینا وانزل علیکم والهنا والهکم واحدٌ" ولا شیء متعلق فی هذا بل هو یخالف لما یریده المؤلف فان الحدیث یامر بالایمان بما انزل الی اهل الکتاب اما الاغفال عن تصدیق اهل الکتاب وتکذیبهم فلاجل کون اهل الکتاب غیر موثوقین بهم فی الروایة ومنها ان النبی صلی الله "رای فی ید عمر ورقة من التوراة فغضب حتی تبین الغضب فی وجهه ثم قال الم اٰتکم بها بیضاء نقیة والله لو کان موسیٰ حیا ما وسعه الا اتباعی" وهذا لا مستند فیه للمولف فان النبی صلی الله علیه وسلم خاف علی عمر عنایته بالتوراة والتصدیق بکل ما فیها مع کونها مغیرة لعبت بها ایدی النقلة ولذلك قال الم اٰتکم بها بیضاء نقیة، وهذا لا یستلزم بل لیس فیه

ادنی اشارة الی محوهما والحاق الضرر بهما ونزيدك ايضاحا للكلام بما فيه ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو القران وعليه المعوّل وهو المستمسك فی كل باب وكان هو العروة الوثقى فی هذا العصر للصحابة واهل القرن الاوّل والقران له عناية كبری بالتوراة والانجيل وهو الذی نوّه بذكرهما وعظم شانهما، فقال

فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والمراد بالذكر التوراة،

انا انزلنا التوراة فيها هدی،

ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم،

مصدقا لما بين يدی من التوراة،

مصدقا لما بين يديه من التوراة،

ما كان حديثا يفتری ولكن تصديق الذی بين يديه (ای التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من اجلة الصحابة منقطعين الی قرءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بها بل اخذوا يرودون ويتفاوضون كل ما وجدوا من اقاصيص اهل الكتاب ومروياتهم وقد اعترف بذلك المولف نفسه فقال،

"وقد رايت ان العمدة فی التفسير علی النقل بالتواتر والاسناد من النبی

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ اميون لا كتابة عندهم فكانوا اذا تشوقوا الى معرفة شئ مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من اسباب الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، فكانوا اذا اسئلوا عن شئ اجابوا بما عندهم من اقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلات كتب التفسير من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحہ ٦٤)

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من كتب الله ٧٢ كتابا ثم قال،

"فكان للعرب ثقة كبرى فيه"، وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها من الاديان الاخرى"،

فانظر كيف يناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن

"فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به (اي القرآن) عن كل كتاب سواه ومحوا ما كان قبله من كتب العلم"،

ويقول الآن ان كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيليات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيد توضيحا وتفصيلاً ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية ، لم يدان نه احدٌ فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب مارأيت احداً لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من ايام النبى صوّاما قواما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيراً ++ وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب،

ومنهم عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وکونه عالماً اهل الکتاب روایة بالاسناد یرفعه الی عبدالله بن سلام انه جاء الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال انی قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء هذا لیلةً وهذا لیلةً"، فهذا ان صح ففی الرخصة فی تکریر التوراة وتدبرها"،

ومنهم **کعب الاحبار** کان من کبار اهل الکتاب، اسلم فی زمن ابی بکر قال الذهبی قدم من الیمن فی دولة امیر المومنین عمر فاخذ عنه الصحابة وغیرهم واخذ هو من الکتاب والسنة عن اصحابه"، فهذا کانه تصریح فی ان الصحابة اخذوا عنه علم اهل الکتاب،

ومنهم **وهب بن منبه** قال الذهبی فی ترجمته "وعنده من اهل الکتاب شیء کثیر فانه صرف عنایته الی ذلك، وکان ثقة واسع العلم ینظر بکعب الاحبار فی زمانه، وعن وهب قال یقولون عبدالله بن اسلام اعلم اهل زمانه وکعب اعلم اهل زمانه،

فهل بعد کل هذا یصح قول المولف، ان الصحابة ومن یلیهم کانوا یقولون انه لا ینبغی ان یقرء کتابٌ غیر القرآن ومحوا ما کان قبلهم من العلم عیاذاً بالله،

قال المولف

ثانیاً جاء فی تاریخ مختصر الدول لابی الفرج" ثم نقل روایة الاحراق برمتها واطال فی اثبات ان اباالفرج لیس باوّل من روی هذه الروایة

بل ذكرها عبد اللطيف البغدادی عرضا فی ذكره عمرو الوارى و ذكرها القفطی فی تاریخ الحكماء"

لا ننازع المولف فی ان ابا الفرج مسبوق فی ذكر هذه الرواية بالقفطی والبغدادی ولكن ماذا ينفعه ذلك فان البغدادی وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرة وذكر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة على كتاب

تعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الكتاب واوهامهم فسبب ذلك انه يزن التاريخ الاسلامی بميزان غير ميزاننا ولذلك يصغى الى كل صوت و يستمع لكل قائل لا يعرف ان هذا الفن له اصول و مبادو قواعد وما لم يكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لا يلتفت اليها اصلا

منها ان الناقل للرواية لابد ان يكون شهد الواقعة فان لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى يتصل الرواية الى من شهدها بنفسه

ومنها ان يكون رجال السند معروفين بصدقهم و ديانتهم،

ومنها ان لا يكون الرواية تخالف الدراية و مجارى الاحوال،

ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل كل شيء بضبط اسماء الرجال والبحث عن سيرهم واحوالهم و ديانتهم و محلهم من الصدق فدونوا كتب اسماء الرجال وكابدوا فی ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشری فعملوا كتبا غير محصورة منها الكامل لابن عدی والثقات لابن حبان و تهذيب

الكمال للمزی وتهذیب التهذیب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولابن ماکولا وابن عبد البر ولابن الاثیر ولابن حجر، وتهذیب الاسماء للنووی ومیزان الاعتدال للذهبی ولسان المیزان لابن حجر۔

وتجد کتب القدماء من مورخی الاسلام کلها او اکثرها کتاریخ البخاری وسیرة بن اسحاق وتاریخ الطبری وابن قتیبة وغیره مسلسل الاسناد مبینة الاسماء لیمکن نقد الروایة ومعرفة جیدها من زیفها،

فاول شیء یهمنا فی هذا البحث ان نری هل ذکر القفطی والبغدادی هذه الروایة مسندة وذکرا مصدر الروایة واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادی والقفطی من رجال القرن السادس والسابع فای عبرة بروایة تتعلق بالقرن الاول یذکرانها من غیر سندٍ ولا روایة ولا احالة علی کتاب،

اما کتب القدماء الموثوق بها فلیس لهذه الروایة فیها اثر ولا عین، هذا تاریخ الطبری والیعقوبی والمعارف لابن قتیبة واخبار الطوال للدنیوری وفتوح البلدان للبلاذری والتاریخ الصغیر للبخاری وثقات ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وکررنا النظر فیها ومع ان فتح الاسکندریة مذکورٌ فیها بقضها وقضیضها لیس لحریق الخزانة فیها ذکرٌ،

وعلاوة علی ذلک فان فی فتح مصر کتبا مختصة بذلک مثل خطط مصر

للكندی وکشف الممالک لابن شاهین، وتاریخ مصر لعبد الرحمن الصوفی و تاریخ مصر لابن برکات النحوی وتاریخ مصر لمحمد بن عبد الله وغیرها مما ذکرها صاحب کشف الظنون، والمقریزی جمع وادعی کل ذلک ولم یترک روایة ولا خبرًا یتعلق بمصر الا وذکره عند تفصیل الفتح ولم یذکر هذه الواقعة عند ذکر فتح الاسکندریة،

قال المولف،

واما خلو کتب الفتح من ذکر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم ذکروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامی واشتغال المسلمین بالعلم ومعرفتهم قدر الکتب فاستبعدوا احداث ذلک فی عصر الخلفاء الراشدین فحذفوه ولعل لذلک سببًا أخر، (الجزء الثالث صفحہ ۴۵)

لا یستبعد مثل هذا الکلام عن مثل المؤلف وکیف یقدر دیانة مورخی الاسلام وشدتهم فی تحری الصدق ونزاهتهم عن التغییر والتحریف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غریزته تعمد الکذب والتحریف والخیانة والمحو والاثبات.

قال المولف،

ثالثًا وردت فی اماکن کثیرة من تواریخ المسلمین خبر احراق مکاتب فارس وغیرها علی الاجمال وقد لخصها صاحب کشف الظنون، (الجزء الثالث صفحہ ۴۵)

انظر الى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف ذكر ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر ناقل ومورخ وصاحبنا يقول انه ورد فی اماکن کثیرة من تواریخ المسلمین خبر احراق المکاتب وقد لخصها صاحب کشف الظنون فاین الاماکن الکثیرة واین التلخیص اما قول صاحب کشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وکذلك قول ابن خلدون وامثال هذه المواقع لا تحتاج الی کبیر اعتناء وزیادة احتیاط ولذلك لما ذکر ابن خلدون فتح مصر واسکندریة وهو المظنة لذکر هذه الواقعة لم یتفوه بهذه الروایة اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب کشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم یذکرا انهم من این اخذا هذه الروایة لا یعبأ بها ولا یلتفت الیها،

قال المولف،

رابعا ان احراق الکتب کان شایعا فی تلك العصور کما فعل عبد الله بن طاهر بکتب فارسیة (الجزء الثالث صفحه ٢٥)

یا للعجب، عبد الله بن طاهر من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر یمتاز بکونه عصر العلم والمعارف وقد کانت للدولة ورجال حاشیتها وغیرهم عنایة کبری بکتب الاوائل وکانوا یجلبون الکتب من فارس وبلاد الروم وغیرها تجد تفاصیل ذلك فی فهرست ابن الندیم

وطبقات الاطباء واخبار الحکماء وغیرها فکیف یعوّل علی هذه الروایة التی ما ذکرها احدٌ من ثقات المورخین وانما استند المولف ببراون المعلم الانکلیزی وهو نقلها من تذکرة دولت شاه وهو کتابٌ جامعٌ لکل غثٍ وسمین، ولو صحّ نقلها لکانت علی سبیل الندرة والشذوذ فهل یصح قول المولف انّ احراق الکتب کان شایعًا فی تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الادیان فی تلك العصور کانوا یعدّون هدم المعابد القدیمة واحراق کتب اصحابها من قبیل السعی فی تائید الادیان الجدیدة،

(ثم ذکر فی تائید ذلك عمل امبراطوراة الروم واحراق کتب المعتزلة،

نعم و لکن الراشدین لایقاسون بغیرهم، ثم ان المسئلة لیست قیاسیة فما لم یثبت بالروایة لاینفع مجرد القیاس،

قال المولف، سادسا،

فی تاریخ الاسلام جماعة من ائمة المسلمین احرقوا کتبهم من تلقاء انفسهم،

(ثم ذکر بعض الحوادث فی تائید ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء یجوز له ان یفعل بملکه ما یشاء وایُّ حجةٍ فی ذلك لاحراق کتب اقوام اخر،

اِنَّ هذه القیاسات الواهیة لاتغنی شیئًا ولکن لو اردنا ان نستشفی

فی ذلک البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین باثار اھل الذمة ومعابدھم وکنائسھم وامتعتھم وخزاینھم، ان الاصل فی ذلک عھد النبی صلی اللہ علیہ وسلم الذی کتبہ لاھل نجران وقد ذکرہ القاضی ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفہ

ولنجران وحاشیتھا جوار اللہ وذمة محمد النبی رسول اللہ علی اموالھم وانفسھم وارضھم وملتھم وغائبھم وشاھدھم وعشیرتھم وبیعھم وکل ما تحت ایدیھم من قلیل او کثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۴۱)

فکان ھذا العھد ھو العمدة للصحابة عضوا علیہ بالنواجذ وتجد فی کل عھود الخلفاء الراشدین کعھد نجران ومصر وشام والجزیرة ان ھذا الاصل ای ذمة اللہ ورسولہ علی ارضھم وکل ما تحت ایدیھم من قلیل او کثیر محفوظ باقٍ علی حیالتھا الاصلیة وعھد مصر ھو ھذا۔

"ھذا ما اعطی عمرو بن العاص اھل مصر من الامان علی انفسھم ودمھم واموالھم وصاعھم ومدھم وعددھم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لھم ارضھم واموالھم لا یتعرضون فی شیء منھا" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العھد باھل الذمة وغیرھم ومع عھدہ بانھم لا یتعرضون فی شیء من اموالھم وکل ما تحت ایدیھم کیف کان یتعرض لخزانة کانبھم التی ھی من انفس ذخائرھم واغلاھا

اعلم انّ مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتا ونفيًا وممّن الّم بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم ورايت والمعلم دساسی الفرنساوی فی ترجمة کتاب الافادة والاعتبار وواشنگٹن ارونگ ودریپر الامیرکانی صاحب کتاب الجدال بین العلم والدین وکرچٹن وسیدیو الفاضل الشهیر الفرنساوی فی تاریخ الاسلام والمعلم رینان الفیلسوف الفرنساوی فی خطبة الاسلام والعلم، وارثر گلبین، وللمعلم کریل الالمانی رسالةٌ مستقلةٌ فی هذا البحث قدّمها فی المؤتمر الشرقی الّذی انعقد سنة ۱۸۷۰ء، اوردَ فیها کل ما کتب الباحثون فی هذا البحث نفیا او اثباتا وقد طالعت کل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالة فی لسان الاردو وترجمت الی الانکلیزیة ثم الی العربیة ترجمها احد من اهل الشام وطُبِعَ شطرٌ منها فی جریدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققی اهل اوربا قضوا بانّ الواقعة غیر ثابتة اصلا منهم جیبن المؤرخ الشهیر الانکلیزی ودریپر الامیرکانی وسیدیو الفرنساوی وکریل الالمانی والمعلم رینان الفرنساوی عمدتهم فی انکار ذلک امران الاول انّ الواقعة لیس لها عینٌ ولا اثر فی کتب التاریخ الموثوقة بها کالطبری و ابن الاثیر والبلاذری وغیرها ممّن ذکرها واول من ذکرها عبد اللطیف و القفطی وهما من رجال القرن السادس و السابع ولم یذکرا مصدرًا للروایة

ولاسند۔ والثانی ان الخزانۃ کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذالک بدلائل لا یمکن انکارھا"

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارۃ علی العرب×× ولذلک منعوھم من تدوین الکتب×× وکان ھذا الاعتقاد ناشئاً فی الصحابۃ والتابعین وتمسک بہ جماعۃ من کبارھم وکانوا اذا سئلوا التدوین علیھم ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحۃ ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالاً عدیدۃ فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابۃ کانوا یمنعون الناس عن الکتابۃ والتالیف ونحن لا ننکر ان ھذا کان مذھباً لبعض الصحابۃ والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلک وامروا بالکتابۃ والتدوین اکثرھم عدداً وارجحھم میزاناً واوسعھم نفوذاً وقد عقد المحدث المشھور القاضی ابن عبدالبر فی کتابہ جامع بیان العلم (انظر صفحۃ ۳۶ طبع المصر) باباً فی اثبات ذلک ونحن ننقل شطراً منھا، قال "وعن انس بن مالک قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قیدوا العلم بالکتاب وعن عبدالملک بن سفیان عن عمہ انہ سمع عمر بن الخطاب یقول قیدوا العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبدالرحمن ابن عبداللہ بن مسعود کتاباً وحلف لی انہ خط ابیہ بیدہ وعن ابی بکر قال سمعت الضحاک یقول اذا سمعت شیئاً فاکتبہ ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انہ کان

يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابي قلابة قال الكتاب احب الينا من النسيان وعن ابي مليح قال
يعيبون علينا الكتاب وقد قول الله علمها عند ربي في كتاب، وعن عطاء عن
عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيد العلم قال قيد العلم قال عطاء
قلت وما تقييد العلم قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الداروردي
قال اول من دون العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابي الزناد
عن ابيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما
احتيج اليه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية
بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن علي قال
سمعت خالد بن خداش البغدادي، قال ودعت مالك بن انس فقلت
يا ابا عبد الله اوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل
مسلم وكتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه كان لا يرى بكتاب العلم باسا
وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتبا
نتعاهدها وقال الخليل بن احمد اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة
وكان يقول وددت لو ان عندي كتبي باهلي ومالي وعن سليمان
بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل ياخذ كل ما سمع فذلك

حاطب ليل ورجل لا يكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحق بن منصور قال قلت لاحمد بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قوم ورخص فيه اخرون قلت له لو لم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اى شئ كنا نحن قال اسحق و سالت اسحق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و كان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول انى احب ان اكتب الحديث على ثلاثة اوجه حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه فاوقفه لا اطرحه ولا ادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه ولا اعبأ به وقال الاوزاعي تعلم ما لا يوخذ به كما تتعلم ما يوخذ به و عن سعد بن ابراهيم قال امرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث الى كل ارض له عليها سلطان دفترا وعن ابى زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان كل من لا يكتب العلم لا يومن عليه الغلط وعن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرأينا ان لا نمنعه احدا من المسلمين وذكر المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئا الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعنى

الضغط على اهل الذمة	ادعى المولف ان عمر بن الخطاب كتب

عهدا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم،

كل من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف ان **الطرطوشى** ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعول فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ما كان يخفى على المولف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى ابو يوسف وهو مع كونه من رجال الفقه عارف بالمغازى والسير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا × × فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا
انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك
وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال
التى جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا
علينا شيئًا واخذوا كل شئ بقى لنا حتى لا يدعوا شيئًا (كتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۱۳۹)

فانظر الى هذا العدل الذى عجز البشر عن ايتان مثله واعتراف اهل الذمة
بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية | اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا
اليوم فى ملتنا من يقوم بهذا العباً فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل
المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماءً اتلقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا
تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهاك امثلة من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب
هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن علم فعمدوا الى استخدام القياس العقلى فى استخراج
احكام الفقه من القران والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا اشد يدى
التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ۷) ظن الرجل ان استخدام القياس والراى من
مبتدعات الفرس مع ان اول من سمى بهذا الاسم هو ربيعة الراى صرح بذلك
السمعانى فى الانساب وهو من اهل المدينة وممن اخذ عنه الامام مالك، وان
المالك والشافعی وابا يوسف والامام محمد كلهم يستعملون القياس مع كونهم

من العرب اَرُومۃً وموطنًا واداۃً وانّ الفارق بین اصحاب الرای و الحدیث لیس
استعمال القیاس و فصل القضیۃ فی ذلک تجدہ فی کتاب حجۃ اللہ البالغۃ لشاہ ولی اللہ
الدہلوی من متاخری حکماء الاسلام۔ ثم قال المولف "فکان من جملۃ مساعی المنصور
فی تصغیر امر المدینۃ وفقہائہا وخصوصا مالک بعد ان افتی بخلع بیعتہ انّہ
نصر فقہاء العراق القائلین بالقیاس وکان کبیرھم یومئذ ابا حنیفۃ النعمان فی
الکوفۃ فاستقدمہ المنصور الی بغداد واکرمہ وعززمذھبہ"

ظلمات بعضہا فوق بعض، ما کان **ابو حنیفۃ** ارفع مکانۃ عند المنصور من مالک
فان ابا حنیفۃ کان ھواہ مع ابراھیم الخارج علی المنصور وکان افتی بنصرۃ ابراھیم
ولذلک اراد المنصور المکیدۃ بہ فاستدعاہ وعرض علیہ القضاء ولما لم یرض بہ سجنہ
وامر بضربہ حتی مات فی السجن، اما ما قال عن تصغیر امر الامام مالک فیخالف الروایات
الصحیحۃ الثابتۃ قال القاضی بن عبد البرّ فی کتاب جامع العلم (صفحہ ۶۲) عن
محمد بن عمر قال سمعت مالک بن انس یقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانی فدخلت
علیہ فحدثتہ وسالنی فاجبتہ فقال انی عزمت ان امر بکتبک ھذہ التی وضعتہا
یعنی الموطاء فینسخ نسخا ثم ابعث الی کل مصر من امصار المسلمین منہا نسخۃ و
امرھم ان یعملوا بما فیہا لا یتعدوھا الی غیرھا ویدعوا ما سوی ذلک من ھذا العلم المحدث
فانی رایت اصل ھذا العلم روایۃ اھل المدینۃ وعلمھم الخ۔

قال "وکان ابو حنیفۃ لا یحب العرب ولا العربیۃ حتی انہ لم یکن یحسن الاعراب ولا یبالی بہ

(الجزء الثالث صفحة ٤٠٤ مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش، استشهد المؤلف فی هذه الواقعة بابن خلکان والحال ان ابن خلكان ذكر فی تاریخه فی ترجمة ابی حنیفة بعد ذکر محاسنه ان الخطیب البغدادی اطال فی مثالب ابی حنیفة ثم انكر علیه ذلك وقال ما كان یعاب ابو حنیفة الا بقلة العربیة فانه قال ولو رماه بابا قبیس ثم اعتذر له بنوع من العذر، ولیس فیه اقل شیء یومی الی ان ابا حنیفة كان لا یحب العرب والعربیة، ثم ان ابا حنیفة كان ناقما علی العباسیة المحامین للفرس وكان من شیعة زید الامام ابن الامام زین العابدین وكان تلمیذ الحماد وهو تلمیذ الابراهیم النخعی وكلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له والناشرون لفقهه والقائمون بدعوته ای ابا یوسف ومحمدا وزفر كلهم عرب، اما لحن ابی حنیفة فمعلوم انه عجمی وكم من الاعجام الذین هم رؤس الادب ووجوه العربیة كحماد الراویة وغیره كانوا یلحنون وكان هذا طبیعتهم وغریزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل یصلح لسلوك هذا الطریق الوعر والخوض فی غمار هذا البحث الدقیق الذی یحتاج الی التضلع فی العلوم الاسلامیة والتوسع فیها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الرای وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكمیل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذی عرفناه قبل ذلك فی سوء طویته وكامن حقده وتحامله علی العرب واعتیاده بالتحریف وتمرنه بسوء التاول وتلبیس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقم) فلما افضى الامر الى بنى العباس واراد المنصور تصغير العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه فى ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناءً سماه القبة الخضراء حجًا للناس وقطع الميرة عن الحرمين وفقيهُ المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها فى امر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ٧١)

وهذا كله كذبٌ واختلاقٌ والمنصور ابعد محلا وابرءُ ساحة من ان يبنى بناءً ارغامًا للكعبة وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الا حجرا على محمد وتضييقا عليه لما قام بالخلافة وقد صرّح بذلك المقريزى (الجزء الثانى صفحة ١٤٣) فقال "وذكر البلاذرى ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال تكتب الساعة الى مصر ان تقطع الميرة عن اهل الحرمين والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على موازرته وافتى بخلع بيعة المنصور" فانظر كيف قلب المولف الحكاية وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب فى قطع الميرة والمولف يقول ان قطع الميرة انما كان ارغامًا للحرمين وان الامام مالك افتى لذلك بخلع بيعته۔

قال المولف بعد ما ذكر رغبة بنى امية فى الشعر وتنشيطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امية) وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة فى الادب وتنشيطًا لاهله لان الشعر سجيةٌ فى العرب ودولة الامويين عربية

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت الخ (الجزء الثالث صفحہ ۱۰۲) فانظر الی هذا التحامل المفرط والحیف الشدید فانه لما لم یجد سبیلا الی انکار ما لبنی امیة من الایادی فی ترویج سوق الادب فی رفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربیة واعطاء الصلات المتکاثرة للشعراء احتال لدفعه بابداء احتمال انهم کانوا مدفوعین الی ذلك سیاسة،

قال وقد تقدم فی کلامنا عن الفقهاء ان المنصور اخذ بناصر اصحاب الرای والقیاس واستقدم ابا حنیفة الی بغداد ونشطه لهذه الغایة وظل المیل الی القیاس متواصلا فی بنی العباس والاعتزال قرب المذاهب الی اصحاب الرای الخ (الجزء الثالث صفحة ۱۴۰) انظر الی ما بلغ به حال المؤلف فی جهله بالمعارف الاسلامیة حتی انه یقرن بین الاعتزال والرای ویعدهما من جنس واحد ولم یدر المسکین ان لا رابط بینهما فان الاعتزال احد المذاهب الکلامیة والرای والقیاس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الرای والقیاس بل کلهم (الا الشاذ النادر منهم) کابی حنیفة ومحمد وابی یوسف وزفر وابی لولو والطحاوی والخصاف وابی بکر الرازی والدبوسی وغیرهم کانوا ناقمین علی الاعتزال وکانوا یعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الی المامون فاخذ بناصر اشیاعه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بها خوفا من غضب الفقهاء وفی جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)،

وهل یکون کذب اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزیل اوعدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثه تقوم بالله تعالی وهو صفة قدیمة **فالمعتزلة** قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لا یقوم بقدیم فاما ان القرآن کلام الله تعالی منزل الی الرسول فهذا لا یختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بجذاتها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکان الانتساب الیها مرادفا للانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلك فی **بغداد** بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلك سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ۱۷۷) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار خدیعة المولف، قال الیعقوبی "شخص هرثمة من العراق الی مرو سنة ۲۰۱ وقیل انه انصرف بغیر اذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من تقرس ولا یمکننی مشی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معه یحیی بن عامر ابن اسمعیل الحارثی فقال السلام علیك یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءك وانصارك واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتکم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ۵۴۶ و ۵۴۷)

انّ المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فنقم العرب على المامون و
قالوا انك قدّمت المجوس و قال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من
السياسة لامساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من
اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف ولكن الاسلام كان اقرب لى طلاق حرية الفكر والقول
وخصوصًا فى وائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا
لراى الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذٍ وتعددت مذاهب اصحابها
فى القراءة والتفسير والفقه وفى كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف
ليست من القران لانها قصة من لقصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء
الثالث صفحة ١٦) انظر الى هذه الخذ يعنى يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية
الفكر ويدس فيه ان بعض لطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف
من القران وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور
القران كان من هبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد
واثنان آخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم
ابن خلكان والشهرستانى وغيرهما،